مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى
« مصطفى كمال وصفى
« حسن عباس زكى
الأستاذ أبو الوفا التفتازانى
« محمد أبو زهرة
« محمد لبيب البوهى
« أحمد السيد عوض الله
« ادوار الجواهرجى

الأستاذ محمد الحافظ التيجانى
« محمد عيد الشافعى
« سعيد حمزه مكرم
« إبراهيم أبو الخشب
« محمد على الطعمى
« محمد رشاد عطية
« محمود شلبى
« سماحة السيد محمد علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : ندوة المجلة
منهج التصوف : أخبار صوفية

العدد الثامن — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثامن «السنة الثانية» : ٢ رجب عام ١٣٧٩ هـ الموافق أول يناير ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الدين في عصر الذرة والفضاء

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين ، مقالا بجريدة الأخبار ، عن رسالة الدين في عام ١٩٦٠ ، وقد عرض سيادته في مقاله ، لكتاب صدر أخيرا في بريطانيا ، عن واجبات رجل الدين في عصر الذرة والفضاء .

وخلاصة ما جاء في هذا الكتاب الذي اهتمت به صحافة لندن ، أن رجال الدين في العالم ، يعيشون في قماقم الماضي ولا يخرجون إلى مسرح الحياة ، ومشكلات الدنيا المتطورة .

وإنهم لازالوا في مجالسهم ودروسهم ومواعظهم ، يحدثون الناس عن الزنا والميسر أو يقرعون أسماعهم بصيحات

حول فضائل نفسية ذاتية ، بينما العلم يثب وثباته الهائلة ، ويسخر الطاقات المادية ، ويفجر الذرات النووية ، ويفتح الفضاء ، وينقل الإنسانية إلى آفاق هائلة مسحورة .

وبينما يحصر رجل الدين نفسه ، ويفنى حياته فى كلمات من أفق القرون الماضية ومن أخيلة العصور السابقة ، تدور حول القناعة والاحتشام وملذات الآخرة ، راح العلم فى روعة أخاذة ، يقدم للإنسانية مزيدا من القـــوة والرفاهية ، ويمنحها ألوانا من المتعة والبهجة ، ويصنع لها حياة فسيحة رغدة .

ولو تطور رجال الدين مع العلم ، ومشوا مع خطو الحياة ، وفقهوا واقع الوجود ولغة العصر وحاجة البشرية ، لجددوا من أساليبهم ومن تفكيرهم ، ولرأيناهم فى طليعة المجاهدين فى سبيل الحرية ، يقودون مواكبها العالمية ، ولرأيناهم يسهمون فى مشكلات العالم الاقتصادية ، ويقدمون الحلول الإيجابية للتطور الاقتصادى العلمى الذى يعتبر اليوم محور الحياة للشعوب كافة ، كما يقدمون الحلول الإيمانية ، للملازمات النفسية التى تصطبغ بها حياة الإنسانية فى ركضها السريع ، ووثباتها المتلاحقة

ونشأ من هذا التطور العلمى الباهر والجمود الدينى المتخلف ، سؤال حائر فى فم البشرية ، ووجدان الإنسانية .. هل يستطيع الدين أن يعيش فى عالم العلم . ؟ وهل يستطيع أن يلعب دوره التقليدى فى عصر الذرة والفضاء . ؟ وهل يستطيع بإمكانياته التاريخية أن يفى بحاجات النفس ومطالب الروح ، فى دنيانا الرحبة الآفاق ، المتعددة المطالب . ؟ وهل يستطيع أن يثبت أمام هذه العواصف المادية الجامحة التى تزلزل بنيانه فى القلوب والعقول .

أو كما يقول — السير آرثر — علامة التاريخ الاجتماعى : « إن هناك أزمة دينية فى ضمير الإنسانية ، فإما ارتداد عنيف إلى عالم الروح والله ، أو مروق وانفلات من قبضة الرسل ونطاق الكلمات المقدسة »

وسر هـذه الأزمة أن التطور المادى قد خطا خطوات حاسمة بهرت الناس وأذهلت قلوبهم ، وفتنتهم عن أنفسهم ، وحطمت فى وجدانهم قداسة المثل الإيمانية ، وجلال التعاليم الدينية فاهتزت فى موازينهم ، وأمام أبصارهم ما تعودوا من حياه ، وما ألفوا من تفكير .

ومن ثم انبثقت الشكوك والريب حول الأديان ورسالتها ومكانتها من الحياة ، وأثرها فى تطور الإنسان وتفوقه وسيادته ، وقامت فى القلوب والعقول عبادة من لون جديد ، عبادة تخشع للعلم وتهتف باسمه ، وتنادى بقوته ، وتؤمن بمعجزاته .

وتتطاول تلك العبادة العلمية ، حتى لتسخر من الأديان ، وحتى لتسأل فى وقاحة عن حقيقة الله ما هى ؟ وماذا تكون ؟

وزاد من عنف الأزمة ، تلك العزلة العجيبة التى فرضها رجل الدين على نفسه ؛ أو فرضتها عليه حياته ، فظل بعيدا عن الحركة العلمية المتطورة بعيدا عن المساهمة الإيجابية فى المشكلات الاجتماعية ، بعيدا عن الملاءمة بين الوجدان الدينى والتوثب العلمى ، بعيدا حتى عن التطور بالكلمة الهادية ، والموعظة المرشدة ، التطور بها إلى لغة الحياة ، وأسلوب العصر ، ومنطق العلم .

إن الدين للإنسانية ، كالماء والخبز والهواء لا غنى عنه للحياة ، أينما كان الإنسان من وجه هذه الأرض ، وأينما كان الإنسان ، فى كل أفق ، وفى كل عصر ، ومع كل حضارة ، وكل علم ، حتى علم الذرة والفضاء ، وماهر أبعد مدى من الذرة والفضاء .

إن هذا التفوق العلمى الرائع ، لم يهذب خلقا ، ولم يسعد نفسا ، ولم يطهر وجدانا ، ولم يرسل إلى القلوب شعاعا . من أشعة السكينة والطمأنينة والسعادة .

إن هذا التقـــدم العلمى الباهر ، لم يقـدم للإنسانية أمنها النفسى ، ولا خبزها المادى ، بل زادها قلقاً واضطراباً ، وزاد مشاكلها حدة والتهاباً .

لقد اكتشف الإنسان الفضاء ، ولكنه جهل قلبه ، وسخر الطاقات المتفجرة واستعبد نفسه ، وأطلق صواريخه إلى القمر ، ولكن روحه لصقت بالأرض ، وعجزت عن أن تحلق فى آفاق النور والصفاء ، عجزت عن أن تصعد إلى ملهمها وخالقها ، لتنال زادها القدسى ، وسرها الإنسانى

إن الدين وحده ، هو الذى يرتفع فوق حياة الغاب ، وفوق عبادة الآلة ، إنه وحده الصانع للقيم الإنسانية ، المربى للأخلاق الاجتماعية ، الحاجز للغرائز البهيمية من أن تنطلق مسعورة

بجنونة لتدمر وتعربد وتفسد فى الأرض .

إن الإنسانية اليوم أحوج ما تكون إلى الدين ورسالته ، أحوج ما تكون إلى مثله وآدابه ، وأخلاقه ، وأمنه وسلامه .

إن العالم لا يعيش بعضلاته كوحوش الغابات ، ولا بغرائزه كدواب المراعى ، إنه فى حاجة إلى قلبه وروحه وعقيدته الربانية ، ليحدث التوازن بين أخلاقه وقوته ، وعلمه ومثاليته ، ليستطيع التعبير عن إنسانية .

وكما يقول الدكتور ـ هنرى لنك ـ وهو أحد أعلام علم النفس التجريبى فى العالم فى كتابه : عودة إلى الإيمان : « إنه لا وسيلة لتحقيق سعادتنا وتوازن وجودنا ، إلى أن نعود إلى إيماننا القديم بلا شائبة من شك ، أو هزة من قلق ، أو نزعة من جموح ، حينئذ نستطيع أن نواجه الحياة مستمتعين بما فيها من حق وخير وفضيلة وجمال » .

إن الدين لا يتناقض مع التقدم العلمى ولا يعرقله ، والمعركة التى يحاول بعض الناس إثارتها بين الدين والعلم ، معركة وهمية ، أو على الأقل ، لا مكان لها بيننا نحن أبناء الإسلام ، فكتابنا المقدس تهدف آياته وتنادى تعاليمه بأن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

إن كل فتح علمى فى الفضاء أو فى الذرة ، ليقدم برهاناً جديداً على عظمة الخالق المبدع ، الذى أبدع كل شىء وقدره تقديراً ، فلا ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .

وكما يقول ربنا تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وعلى رجال الدين عندنا ، وعلى رجال التربية الروحية الصوفية أن ينهضوا اليوم برسالتهم ، وأن يأخذوا دعوتهم بقوة ، وأن يخرجوا إلى دنيا الناس ، وأن يتعمقوا مشاكل الحياة ، وأن يتطوروا بدعوتهم بما يلائم حاجات العصر ومطالب الحياة ، إنهم إن فعلوا نهضوا برسالة الرسل كافة فى أحرج فترة فى تاريخ الإيمان والإنسان ، وصدق رسول الله صلوات الله عليه : « العلماء ورثة الأنبياء » والمراد بالعلماء هم الدعاة إلى الله فلنؤد واجب الوراثة ، عن النبوات كافة .

والله يهدى إلى الحق ويرشد إلى سواء السبيل .

عرض جديد لمقامات التصوف

الزهد الصوفى

قوة إيجابية ورسالة تربوية

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

(١)

. . . إن العلم والحياة فى طريقهما إلى التصوف ، ومن ثم يجب أن تسهم الأقلام فى هذا التطور الإنسانى التاريخي ، بعرض المنهج الصوفى ، عرضا علميا واعيا يصله بالحياة الصاعدة ، ويجعله رسالة الحياة المؤمنة المجاهدة .

قال المريد لشيخه :

إن فى النفس لحاجة من هذا الزهد الصوفى ، فقد أسرف المتصوفة فى التغنى به ، والثناء عليه ، وجعلوه عنوانهم وحياتهم ، واشترطوه أساساً لمنهجهم وسلوكهم ، وتنادوا بأنه شعار الأنبياء ، ومنهج الأصفياء ، وصبغة المتقين السالكين إلى ربهم ! ! ؟

وهذا الزهد الذى تغنوا به مدحاً وإكبارا ، وإعجاباً وافتخاراً ، لا تستقيم موازينه فى منطق حياتنا ، وواقع وجودنا .

إنه لتراث الضعفاء الأذلاء ، وشعار العاجزين المنهزمين المعرضين عن جمال الوجود ، الهاربين من آفاق الصراع ، ونبل الكفاح .

إنه الكسل والخمول ، والعجز عن الوثوب إلى آفاق السيادة والعزة .

والإسلام دين بأس وقوة ، وعمل وامتلاك ، وتفوق وحضارة .

والإسلام دين الحياة بأوسع معانى الحياة ، يقول كتابه المقدس : « قل من حرم زينة الله » . « وكلوا من طيبات ما رزقناكم » . « وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » . « والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

وهل ينبت الزهد عزة ؟ وهل ينجب الزهد قوة ؟ وهل يسهم الزهد فى مجد أو سيادة ؟

قال الشيخ لمريده :

خفف عن نفسك يا بنى ، وانفض عن قلبك هذه الأباطيل ، ولا يخدعنك البريق الزائف ، عن الجوهر المكنون .

إن سر ضعفنا ، هو ابتعاد قلوبنا ، وعجز عقولنا ، عن فهم أسرار ديننا ، لقد انقلب كل شىء فى موازيننا ، وانفصل ما بيننا وبين روح رسالتنا . حتى أحلنا كل ماهو قوة وعزة وتربية ، فى عقائدنا إلى أشباح باهتة هزيلة عاجزة .

لقد أكبرنا هذه الدنيا فعبدناها ، حتى خدعتنا مظاهرها وشهواتها عن الينابيع السماوية التى أمدتنا فى ماضينا بالبأس القوى ؛ والخلق الأبى ، والمنهج السوى .

لقد تباعد ما بيننا وبين ديننا ، حتى عجزنا عن فهمه وتذوقه ؛ فتمسكنا بالقشور ، وجمدنا عند الألفاظ ، وعشنا داخل أصداف ، لا ترى الشمس ، ولا تعرف النور .

إن التصوف يابنى : منهج ورسالة ، وعجزنا عن فهم منهجه هو الذى قعد بنا عن إدراك عظمة رسالته .

وكل مقام فى التصوف ، هو جوهر يشع بالنور ، ونبع يتدفق بالخير ، وأفق يموج بالإلهام ، ومنطق يصنع الحياة السامية البانية المتطورة .

ولكنه منطق يحتاج إلى ذوق ووعى وإيمان ، وكلما قربنا من هذا المنطق ، تفتحت قلوبنا على الجلال والكمال والإشراق الصوفى ، بل قربنا من القوى العليا التى تزودنا بالأسلحة الحاسمة المنتصرة ، فى خطونا الحضارى ، وفى أفقنا المثالى .

فالزهد الصوفى يا بنى ، ليس ضعفاً ، ولا انعزالا ، ولا عجزاً ، ولا هروبا من واقع الحياة ، ولا ابتعاداً عن ميادين الصراع .

إنه أعلى مقامات القوة والفتوة ، وأعز منازل العزة والسيادة ، وأعظم فتوحات الحياة الروحية والمادية ، إنه التربية العالية ، والأخلاق الفاضلة ، والقوة الإيجابية الصانعة الملهمة .

هو الترفع والتسامى عن الشهوات والدنايا ، هو امتلاك النفس ، وقهر الهوى ، هو تربية الإرادة ، وتنمية العزيمة . هو الرياضة والمجاهدة ، هو المنهج التربوى العالى ، الذى تنبثق منه رسالة التفوق والتسامى ، فى كل ميدان ، وفى كل معركة ، حسية أو وجدانية ، روحية أو مادية .

فليس الزهد الصوفى ، كما يخيل للتافهين الجاهلين ، هو الذلة والمسكنة ، والفقر والمتربة ، والضعف والحاجة ، والكسل اللاصق بالأرض ، القانع بالدون من الحياة .

إنه زهد تربية ، لازهد مسغبة ، إنه زهد النفس التى تعف فيما تملك ، إنه ترفع النفس عن أن تمد عينيها إلى مالا تملك .

إنه العزة التى لايذلها مطمع من مطامع الدنيا ، ولا تغريها شهوة من شهواتها .

إنه زهد القلب ، وعفة الروح ، وطهارة الجوارح ، إنه التجرد الكامل ، من رق النفس وأهوائها ، ورق الحياة ومطالبها ، أو كما يقول شيوخ الصوفية : « أن تكون الدنيا كلها فى يدك ، وليس فى قلبك منها شىء » .

إنه تصعيد الغرائز الهابطة إلى الآفاق العالية ، إنه توجيه الطاقات البشرية وحشدها وتركيزها على هدف وغاية ، ومنهج ورسالة .

إنه زاد التقوى ، ودرع المجاهد ، وعفة العالم وعدالة الحاكم ، ونبض الحياة الدافق ، فى المجتمع الطاهر ، إنه الإنسانية المثالية ، فى دنيا ربانية .

يقول شيخنا ، بنان الحمال ، متحدثاً عن الحرية والعبودية ، فى منطق الصوفية .

الحـــر عبد ما طمع والعبـــد حر ما قنع

ويقول شيخنا ذو النون المصرى ، مصورا لعزائم الصوفيه ، الذين زهدوا

فى الدنيا ، زهد عزيمة ورسالة ، فلم تتفرق بهم الأهواء ، ولم تتبدد طاقاتهم مع الشهوات ، بل استهدفوا مثلهم الأعلى ، ومضوا إليه مجاهدين أعزة أقوياء .

لذ قوم فأسرفوا ورجال تقشفوا
جعلوا الهم واحد ومضوا ما تخلفوا

ويقول شيخنا ، بشر بن الحارث ، عن عزه الشامخ ، الذى انبثق من امتلاكه لنفسه .

أفادتنى القناعة أى عز ولا عز أعز من القناعة

وصلوات الله وسلامه على رسولنا إذ يقول فى منطق مبين : « تعس عبد الدنيا ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

فالزهد الصوفى ، هو الحرية الكاملة ، حرية النفس والحس ، والعقل والقلب من رق الشهوات ، وعبودية النزوات ، ورهبة الدنيا ، وما فى الدنيا .

هو الذى وهب الصوفية تلك العظمة النفسية الشامخة ، والشجاعة الروحية العالية ، والفدائية البطولية المعجزة .

هو التحرير الكامل ، من كل ما يستعبد الإنسان ليصبح عبداً موحدا ، توحيداً صافياً .

ثم هناك يابنى : الجوهر الصوفى الأعلى ، وهذا الجوهر الأعلى هو سر التصوف بأسره . هو المصباح الذى يكشف لك حقائقه ومناهجه ، ويأخذ بيدك إلى معانيه ومعاليه ، هذا الجوهر ، هو تركيز كل القوى الروحية ، وكل الطاقات القلبية ، حول هدف أعلى ، حول مالك الملك والملكوت ، حول فاطر السموات والأرضيين .

فإذا ارتفع الصوفى بزهده فوق دنياه ، تطلع إلى الله فناجاه ، ثم اصطفاه ربه فطهره وزكاه واجتباه ، فطوبى له فى الحياة ، ثم طوبى له فى الحياة ، الحياة المطمئنة الراضية الناعمة الصافية . وكما يقول الشاعر الصوفى :

رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى فلست أسلك إلا واضح الطرق

وهكذا سلك الصوفية أوضح الطرق فى جهادهم للحياة ، وفى سيرهم إلى الله . . وإلى مقال تال ، حيث ندير الحديث ، حول مقام آخر من مقامات النور الصوفى ، والمنهج الروحى ؟

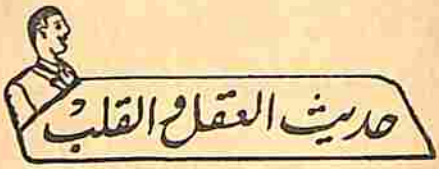

كن عقلا

بقلم
الدكتور : محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب — جامعة القاهرة

أقبل المريد المسترشد على شيخه المرشد ، وجلس بين يديه وقد بدأ على وجهه أن ثمة شيئا فى نفسه يريد أن يفضى به إلى شيخه . ولم يكد يستقر به المجلس حتى ابتدره الشيخ بقوله :

ما بالك يا بنى تبدو مهموما ، وماذا يعمل عمله فى نفسك ، ويملك عليك عقلك ؟ ألم أقل لك منذ بدأنا ندير حديث العقل والقلب فيما بيننا أنه ينبغى على كل واحد منا أن يكون مع صاحبه واضحا جليا لا يغمض ولا يخفى وصريحا مستقيما لا يدارى ولا يلتوى فذلك هو سبيل أصحاب العقل إلى معرفة الحقائق ، وطريق أرباب القلب إلى استكناه الدقائق ، وعدة أهل الضمير إلى تذوق الرقائق .

قال المريد المسترشد مجيبا :

الحق أنى منذ ذلك اليوم الذى دار فيه بيننا حديث أدعياء العلم والخلق ممن ليسوا على شىء من العلم أو الخلق وأنا ما زلت أذكر ما وجهته إلى من نصح وإرشاد ، ولا أنفك أعمل فكرى بصفة خاصة فى قولك لى :

«إذا أردت بعلمك وعملك وقولك وجه الله فكن عقلا منزها عن الأغراض ، وكن قلبا مبرأ عن الأمراض ، وكن ضميرا مجردا عن النزوات والأهواء ، ثم قل بعد ذلك ما شئت لمن شئت ، فلن يكون قولك عند ذلك إلا حقا وصدقا» لقد فكرت وفكرت طويلا ، ولا زلت كما ترانى ياسيدى أطيل التفكير فى كل من العقل والقلب والضمير ، وفى الكيفية التى أكون بها عقلا وقلبا وضميراً ،

وفيما عسى أن أتوسل به من مناهج ، وأتوصل إليه من نتائج .

قال الشيخ المرشد :

لعلك لو عرفت أولا معنى كل من العقل والقلب والضمير ، لكان ذلك أهدى لك وأجدى عليك وأعون على تبصرتك بالكيفية التى تصبح بها عقلا وقلبا وضميرا . وحسبى أن أقف معك فى حديث اليوم عند الأسماء التى يسمى بها العقل من ناحية ، وعند المعانى التى تنطوى عليها هذه الأسماء من ناحية أخرى ، وعند بعض التعريفات التى يحاول أصحابها أن يكشفوا بها عن ماهية العقل وحقيقته من ناحية ثالثة .

قال المريد المسترشد متسائلا :

فماذا للعقل إذن من أسماء ، وماذا لكل اسم من معنى ، وإلى أين ينتهى هذا كله من تحديد المعنى الجامع لمعانى العقل المتعددة بتعدد أسمائه ؟

أجاب الشيخ المرشد بقوله :

لقد تعددت أسماء العقل كما سبق أن أشرت إلى ذلك آنفا ، ولكنى أكتفى بأن أذكر لك منها العقل وهو أكثرها استعمالا ، واللب والحجا والنهى والحجر ، ويتفاوت استعمالها كثرة وقلة .

فأما لم سمى العقل عقلا ، فذلك لأنه يعقل صاحبه عن ركوب شهواته وإتيان المكاره والمضار ، وإن مثل العقل فيما يعقل ويضبط من أمر الإنسان ، كمثل العقال فيما يمنع الناقة من الشرود والنفار ، ومن هنا يمكن أن يقال إن العقل هو عقال النفس .

وأما لم سمى العقل لبا ، فذلك لأنه صفوة الروح ولبابه وخالصه .

وأما لم سمى العقل حجا فذلك لما يعول عليه فيه من إصابة الحجة والاستظهار على المعانى به .

وأما لم سمى العقل بالنهى ، فذلك لأنه ينتهى إليه الذكاء والمعرفة والنظر من ناحية ، ولأنه نهاية ما يمنح الله لعبده من أداة يستعين بها على إصلاح حاله فى الدنيا ، وصلاح مآله فى الأخرة من ناحية أخرى .

وأما لم سمى العقل حجرا ، فذلك لما فيه من معنى المنع عن ركوب المناهى . ومن هنا يقال للإنسان الضابط لنفسه المالك لحسه الكابح لشهواته ونزواته إنه لذو حجر .

وهنا قال المريد المسترشد وكأنه يعترض :

ولكن ألا ترى ياسيدى أن أسماء العقل هذه ، وما أوردت من معانيها

لاتدل إلا على ناحية معينة من نواحى العقل ، وهى الناحية الخلقية العملية التى يكون فيها العقل مدبرا لحياة صاحبه فيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين أشباهه ؛ ونحن نعلم فيما نعلم أن للعقل قيمة أخرى غير قيمته العملية ، وأعنى بها قيمة النظرية الخالصة ، ولعله فيما يقوم به فى ناحيته النظرية هذه من روية وتدبر ، ومن تعقل وتأمل ، ومن تعرف للحقائق وتصرف فى الدقائق ، لعله فى هذا كله أبعد أثرا وأعظم خطراً مما هو فى ناحيته العملية ، بل ولعل المثل العليا الأخلاقية التى يحققها الأفراد والجماعات فى حياتهم العملية ، إنما هى ثمرة من ثمرات العقل النظرى الذى يصطنع النظر ، ويعمل الفكر ، ويحاول أن يحلل ويعلل ، وأن يفسر ويؤول ، وأن يلتمس من وراء هذا كله الحقيقة اليقينية ، والمبادىء الحقيقية التى هى بحق أساس لا منصرف عنه فى كل علم وكل عمل ، والتى لابد لكل عالم عامل من أن يتحقق بمعرفتها معرفة تامة حتى يتحقق بكمال العلم وكمال العمل .

قال الشيخ المرشد ، وهو يبتسم مترفقا بمريده المسترشد :

لقد تعجلت يابنى حقائق العلم ، كما تجاوزت حدود الطلب ، وما كان أحراك أن تتريث قليلا ، فلو قد فعلت لتبين لك أنى سأقف بك اليوم عند حد أسماء العقل ومعانيها من الناحية العملية على أن أتناول معانيه النظريه ، وأكشف عن ماهيته الحقيقية وذلك فى حديث مقبل . ولعلك لا تدرى أنى حين قلت لك : « كن عقلا ، وكن قلبا ، وكن ضميراً » ، فإنما كنت أعنى أن تكون عقلا واعيا ، وقلبا صافيا ، وضميراً صاحيا . وإنى حين أقول لك : كن عقلا واعيا » ، فإنما أعنى أن تكون عقلا مدركا محققا موغلا فى الحقائق ، بحيث تعلم علم اليقين ، وليس من شك فى أنك متى كنت كذلك فإنك على الصراط المستقيم فى طريق الحق المبين. ومن هنا ترى أنى لم أفرغ بعد من حديث العقل الذى أريدك أن تكونه . وإنما كانت تلك تمهيدات ومقدمات . وفيما يلى من أحاديث تأتى التفصيلات والثمرات ، وعندها تستطيع أن تفهم كيف تكون عقلا ، وكيف تصبغ حياتك العامة والخاصة بالصبغة العقلية ، حتى تظفر فى حياتك النظرية والعملية ، بالمعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية .

الأسرة وانتكاس الحياة الروحية

فى مصر

للدكتور مصطفى كامل وصفى الرفاعى

بينا فيما سبق أن الحياة الروحية نشأت فى وعاء روحى دينى ، والإقبال على ثقافات ومدنيات أجنبية غير ملائمة لنا ، وغير منسجة فيما بينها ، إذ أنها مقتبسة من شعوب متباينة ، وتقوم على أسس متعارضة فضلا عن أنها حديثة التكوين لم تستقر بعد ولم تسلم من الشك والنقد .

* * *

وقد منيت الأسرة المصرية ، بسبب هذا النكوص .

فمن الناحية الاجتماعية البحتة ، تعتبر الأسرة هى الوحدة الأساسية أو الخلية التى يتكون المجتمع من تكرارها . وهى كشأن أية وحدة اجتماعية لا بد أن تعيش على ثلاثة عناصر :

سلطة يجتمع حولها أعضاء الوحدة

نظام يستهدف صالح الجماعة ذاتها واستمرار الغرض الذى تقوم عليه .

أفراد متماسكون حول هذه السلطة وحول الغرض الذى ترعاه الوحدة .

وكانت السلطة الجامعة فى هذه الخلية هى الأب . الرجل . فهو بحكم قوته وقوامته يستطيع أن يحفظ على الأسرة كيانها وأن يمنع أفرادها من التشتت ، وأن يقيم العدل بين أفراد الأسرة بتطبيق النظم فيها تطبيقاً موضوعياً لا محاباة فيه ومتفقا معها صالحها الحيوى .

* * *

وكان الدين يظاهر هذه الحقيقة الاجتماعية فى نفوسنا ، بما نص على أن الرجال قوامون على النساء . وبما جعل للرجل فى سلطان وتقدم .

ولكن لما أصبنا بنكسة الإعجاب بكل ما هو أجنبي ، وحسن لنا ماتراه من الأجانب مع النساء فاندفعنا فسبقنا الأجانب فى المضمار . فتربعت النساء عرشاً خلنه من حقهن ، ووقف الرجل عن كثب يحيي المدنية الجديدة ويؤدى شعائرها بكل فخر .

ولقد أصبح مناط الأمور فى الأسرة التى تأخذ بأسباب المدنية الغربية للمرأة . والكلمة النهائية لها . هى التى تأذن الرجل فى أعماله وهى التى تكيف سير حياته اليومى والخطة العامة للأسرة . وتضع مالية الأسرة وتقرر أبواب الصرف فيها . بل أصبح الرجال لا يفتشون إلا على النساء ذوات المهن والدخل . وتفرض المرأة وصايتها على الرجل باسم الحنان عليه وإدراكها لصالحه خيراً مما يدركه لنفسه . وتفرض عليه آراءها من باب حقها فى المشاورة والنصح . فإذا لم ينتصر لرأيها بكت واستصرخت وانقلب النقاش عويلا وانقلبت العشرة تمنعاً فلا يجد الرجل مفراً من التسليم .

* * *

والمرأة بطبيعتها لا تصلح للقيامة ولا للقوامة ، وإن قدمت من الآراء ما يخال لسامعه أنه صواب ، وذلك بسبب دورها فى الحياة . ولا تزدهر ولا تؤدى دورها الحقيق إلا وهى معتمدة على الرجل . وهذا القوام ، هو أساس حياتها وصلبها . فإذا انهار سقطت المرأة على الأرض كومة لا قوام لها . وإذا خرجت من اعتمادها على الرجل إلى الاعتماد على غيره كمال أو مهنة ، فقدت ازدهارها ورواءها الطبيعى ، وأصبحت شيئاً جافا خشنا شديد التغول والافتراس .

وبسبب أن المرأة بطبيعتها تعتمد على الرجل فى حياتها ، نجد أن خلقها الطبيعى يميل إلى الخوف الشديد من فقدان هذا العائل . ومن الحرص الشديد على المستقبل والرغبة فى التأمين والاحتياط ، ومحاولة المحافظة على الاستئثار ببيئتها فلا يتطرق إليها من تخشى أن ينافسها فيها فتبعد عن الرجل أمه وأهله وأصدقاءه وسائر بنات جنسها وتميل إلى الاعتكاف به والاعتزال عنه ، واستخلاصه للهو معها ولأن يقضى أكثر وقته معها وتجريده عن

المساهمة فى الحياة العامة ، إلا أن كان وراء ذلك مادة وكسب مالى ، مما يوافق طبيعتها فى الاحتياط للمستقبل والادخار . ثم هى فى نفس الوقت تريد أن تزهو بنفسها وتظهر زينتها لتأمن منافساتها أو لتعوض لنفسها ما تراه من عدم عناية رجلها بها . فتسرف فى زينتها كل الإسراف وتنفق على المظاهر والكماليات بينما تقتر بالملاليم فى الضروريات .

أما الرجل فأخلاقه أخلاق من تعود الاعتماد عليه أخلاق عريضة سخية ، فهو يميل إلى الكرم والإنفاق وإلى النجدة والشهامة والمروءة وإلى الاختلاط بالناس . أخلاق عريضة مفتوحة .

* * *

فإذا ساد هذا النوع من التوجيه فى المجتمع ، فإنه لا يلبث أن يتسرب إليه الفساد والانهيار .

ونظرة واحدة إلى بعض الملامح العامة فى حياتنا تؤكد ما نقول :

انظر إلى تجارة الكماليات وتجارة الضروريات فى الأسواق واحكم مدى الفساد الذى أصاب اقتصادنا بسبب تسلط النساء . وانظر إلى الطاقة الكبيرة من المال والجهد التى تستنفد فى تزيين واجهات المحلات المضيئة الملونة وما يبذله عارضو الأزياء والسلع من أوجه التأنق والتفنن لبيع أشياء لا فائدة فيها لمن يشتريها . وكيف صارت تجارة الأدوات المنزلية والثلاجات والأفران والمطابخ أروج التجارات وكيف تدور المعاملات بأسرع من البرق بأبهظ الأثمان وبلا نقاش . ثم قارن ذلك ببائع الكوسة أو القرنبيط الذى تماكسه المرأة ذاتها — هى نفسها — على ملاليم . وتصيح فى وجهه بكل ما يخرجه عن زمرة المسلمين والفاضلين والمؤمنين

انظر إلى الإنحلال الذى أصابنا من صفوف المتهالكين على الملاهى مع نسائهن والمنتظرين أمام شبابيك السينما كل مساء للحجز مقدماً .. ومن هذا الجيش العارم من السيارات وما يتطلبه ذلك من نفقة هائلة . والتى تسير لغرض تافه هو مجرد البحث عن مقعد .. أى مقعد فى أى سينما .. ثم العودة بخفى حنين لأن الأماكن قد امتلأت .

كم من الرجال الشرفاء أسندت لهم المناصب فاستحالوا إلى وحوش دنيئة أنانية ، ومدوا أيديهم إلى الحرام لكى يشتروا للسيدة فراء ثمينا وسيارة فارهة وفيللا أنيقة ويكنزون « شيئا » للأولاد ! ! مطالب نسائية وحياة نسائية أفسدت على هذا البلد كثيرا من أبنائه .

إن المرأة هى السبب فى هذا الانحلال وفى ضياع طاقاتنا الاقتصادية وتوجيهها وجهة هالكة وإنها السبب فى تفشى الرشوة والفساد . وألقى تبعة ذلك على المقتبسين بلا تروى من مدنية فرنسا . وألقى على المجلات التى تغذى سيطرة المرأة وهدم النظام العائلى وتمزيق أنسجة هذه الخلية باسم الدفاع عن حقوق المرأة .

إن الآراء التى تنشرها هذه المجلات لتقلب الأوضاع فى الأسرة خلاصتها حرب على النظام المستقر فى المجتمع ، وإن كانت تبدو مرة فى وميض البرق ولمعات السيوف التيارة ، وطوراً مسربلة فى طيات من الحرير الهفهاف والروائح العطرية والدموع الدافئة والزفرات الناعمة الحارة .

فننظر إلى طائفة من عناوين المقالات التى تنشر فى سبيل هذه الحرب الجديدة التى تشنها حواء بما عرف عنها من الصبر والأناة لبلوغ أغراضها ، من ذلك مقالة فى إحدى مجلات نسائية باسم « سيد البيت » وفى صدر الصفحة صورة قاسية لرجل كالوحش يقبض على رسغ امرأة باكية يفتت منظرها الأكباد ! ومقالة باسم « جرائم ترتكب باسم القانون ! » قد تطرق الكاتب فى هذه المقالة إلى الكلام عن قوانين الحضانة وبيت الطاعة والإصلاح الجرىء !! وتستعمل المجلة جانبها الرقيق فى مقالة أخرى بعنوان : « ميزان البيت شركة بين الزوجين » (مع ملاحظة ما تنشره المجلة ذاتها من أسباب إغراق هذه الميزانية كالثياب الغالية والاطباق اللذيذة وآخر أخبار الفترينة من حقائب وعطور وقفازات مما غلا ثمنه وخف حمله) وتتدرج الحملة إلى حد أكبر من النعومة فى مقالات من نوع « كونى جميلة .. اليوم وغدا ودائماً ! »

ولعل الصراع الموجود حاليا حول هدم نظام الدين فى الأحوال الشخصية والقضاء على ما أمر الله به فى شئون الأسرة ، هو وجه من أوجه هذا النزاع الذى شنته المرأة على المجتمع .

وأهم أسباب هذه الحملة هى الرغبة فى تقييد السلطة الشرعية للرجل وتحريم تعدد الزوجات . والواقع لقد أصبح من المستحيل على الرجل أن يعول أكثر من مرأة فى ظل نظامنا الحديث : كيف يعول نساء كل منهن تكتسى شتاء بمئات الجنيهات وصيفا بمثلها ! وينفقن على زينتهن وملاهيهن مالا قبل لرجل أن يتحمله مهما طالت ميزانيته . وكيف يعولهن متعددات وقد أصبح الآن لهن مطالب عاطفية ووجدانية وحقوقا أنشأتها على الرجل أن يغضبن إذا لم يلاحظ ، ويبكين إذا لم يسارع ويولولن إذا لم يدلل ؟ فكيف يعول الرجل عديدا من أمثال هذه العواطف الحارة والثورات المحتدمة والرغبات المنطلقة ؟ لقد أصبح تعدد الزوجات فى جو هذا الدلال النسائى مستحيلا !!

وما بال الرغبة الطبيعية فى الرجل ، والتى خلقها الله متعددة وهذا شأنه ولا نقاش لنا فيه . . . ؟

إذا كنا بصدد رغبة مقابل رغبة رغبة الرجل التعدد ورغبة المرأة فى احتكار الرجل ، فلتنتصر رغبة المرأة إذن ولا يجرؤ أحد فى هذا المجتمع أن يناقشها ... ثم بعد ذلك ليفشو الزنا . وليخدع الأزواج زوجاتهن . وليتخذوا الخليلات . وليصر كل رجل فى منزله حقيرا لأن عليه زلة وله غلطة .. فتزيد بذلك شوكة المرأة . كل ذلك مقبول فى نظير أن تحتكر المرأة عواطف الرجل وتفرض عليه فرضا أنه لا يستطيع أن يحب إلا واحدة !!

وليت الأمر وقف عند ذلك ، بل جاء دور الفتية والفتيات . وجاء دور تحكم المراهقين فى شئون الأسرة . فقد استعمل « الكبت » والتبجح والدلع فى إخضاع الأبوين . بعد أن انزوى الرجل وحلت محله المرأة بأهوائها وضعفها . ولم تقتصر هذه المجلات النسائية فى أداء رسالتها فى إفساد البنين . فنشرت مقالات بعنوان : « حرية البنات ! » وقدمت لها بهذا التقديم اللبق « هل يجوز أن نفتح أبواب العلم لبناتنا ، ثم نفرض عليهن نظام الحريم ؟ » ومقالة أخرى بعنوان : آباء يسجنون الأبناء » وثالثة بعنوان : « متى يرحم الأهل ؟ » وزاد الطين بلة ما تنشره هذه المجلات بعنوان : مشكلتك أو مانحوه ... إذ يشرحون فيها مختلف أنواع الآباء والأمهات

ويظهرون ماعيبهم للجيل الحديث، فصار أحدنا إذا خاطب ولده وجده يناقشه بأفانين وأحاجيج مما أمده به هؤلاء القادة المربون . لأنهم يعثرون على مقالات تبلور لهم معايب الآباء ، وتشرح لهم كيف أن كل أب أو أم مقصرة . إن كان أبا نشطا مكبا على عمله اتهم بأنه يهجر المنزل ولا يعطيه وقتا . وإن كان أبا عاكفا على منزله اتهم بأنه محصور منزوى لا صلة له بالناس وهكذا كل أب وأم من أى نوع يجد فى هذه المقالات نقدا له ، فأصبح من المستحيل علينا أن نلقن الأبناء ، ولم تعد إذن أمثلة يعجبون بها ، بل هدفا لنقدهم وتجريحهم . بل لتوجيهاتهم ونصحهم !

وتساهم الإذاعة والسينما فى ذلك كله أيضاً . ومؤلفونا أحداث ليسوا على خبرة فى عرض المشاكل فيبلبلون الأفكار ويهدمون القيم .

هذا من ضمن الأسباب التى صورت المجتمع فى هذه الصورة التى نراها . قطيع منكب على الملاهى والكماليات منصرف عن الجد ، تهبط مثله من الترابط والتضامن والشهامه والنجدة ، إلى حضيض الأنانية والتفكك والتخلى .

قوة الإنتاج معطلة ، وقوة الاستهلاك منبعثة قائمة سقوط إلى اللهو والترف وما يستتبعه من الكسب الحرام والإنفاق الحرام .

أسر ممزقة وأبناء متمدون متبجحون يحكمون أهليهم بنزواتهم .

ومن حسن الحظ أن العيب لم يستشر بعد فى جميع الطبقات ، بل ما زال رهن الطبقة المثقفة من أبناء المدن ، ولا سيما الثرية منها . ولا منقذ لنا إلا أن نعود إلى الدين . الذى وضعه عليم النفوس خبير بما يصلح لها .

زفاف مبارك

احتفل السيد الشيخ عبد العاطى أبو العلا نائب السادة البيوميه بمديرية أسيوط بزفاف نجله السيد قطب عبد العاطى . وأقيم لهذه المناسبة حفل بهيج دعى إليه صفوة من أعيان المديرية ورجال العلم والأدب فيها .

فكرة «الوقت» عند الصوفية

بقلم أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة

يشترط الصوفية على السالك للطريق الصوفى أن يلتزم آداباً معينة هى القواعد العامة التى ينبغى أن يراعيها فى جميع مراحل سلوكه على اختلافها . وبدونها لا يتهيأ له الوصول . يقول أبو حفص الحداد : « التصوف كله أدب . لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يظن القبول » ، ويقول ذو النون المصرى : « إذا خرج المريد عن حد الأدب فإنه يرجع من حيث جاء » ، ويقول الجريرى : « التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الآداب » .

ومن أهم آداب السلوك عند الصوفية الخضوع لحكم « الوقت » ، ويعنى الصوفية بذلك أن يكون السالك للطريق خاضعاً لما يقيمه الله فيه من أحوال السلوك على اختلافها خضوعاً تاما بحيث لا يكون عندك أدنى تشوف إلى الانتقال من حال إلى حال ، وقت كل سالك ما هو عليه فى الحاضر . يقول القشيرى فى الرسالة : « سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول : الوقت ما أنت فيه ، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى ، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن ، يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان .

وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان ، فإن قوماً قالوا الوقت ما بين الزمانين ، يعنى الماضى والمستقبل .

« ويقولون الصوفى ابن وقته ، يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به فى الحال ، قائم بما هو مطالب به الحين » .

ويقول القشيرى كذلك : « وقد يريدون (أى الصوفية) بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم ، ويقولون : « فلان بحكم الوقت » أى أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب ، من غير

اختيار له ، وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع ، إذاً التضييع لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير ، وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين » .

فالصوفى إذن خاضع على الدوام لحكم وقته ، ومستند إلى إرادة الله دون استناد منه إلى إرادته هو ، لأن الصوفية يؤمنون بأن الإرادة الإلهية مطلقة سارية فى الوجود كله ويخضع لها كل شىء ، والإرادة الإنسانية لا وجود لها على التحقيق إلى جانب إرادة الله ، ولكن هذا لا يستتبع عندهم إسقاط التكليف ، ولهذا رأينا القشيرى يصور الصوفى خاضعاً لحكم الوقت فيما ليس لله تعالى عليه فيه أمر أو اقتضاء بحق الشرع ، وبهذا ينتفى ترك المبالاة عن الصوفى فيما يتعلق بمأمورات الشرع ، وتثبت له إرادة خاصة فى مجال أفعاله الاختيارية التى يشعر بالقدرة عليها .

وعلى هذا الأساس ينبغى أن نفهم ما يعنيه الصوفية بالخضوع لحكم الوقت ، فهم ليسوا من الجبرية الخالصة فى شىء إذ لا يدعون إلى انتفاء الإرادة الإنسانية انتفاء حقيقياً ، بل هم يثبتون للإنسان إرادة ، ولكنهم يصفون هذه الإرادة بأنها عاجزة بالقياس إلى إرادة الله ، لأن الله قادر ، وقدرته تحيط بكل شىء ، وإذا قضى الله أن يقهر إرادة الإنسان فلا راد لقضائه .

ويترتب على ذلك أيضاً أن يكون من أدب الصوفى ألا يغتر بإرادته ، فإن إرادته ليست شيئاً بالقياس إلى إلى إرادة الله . إذ تتلاشى إرادته فى إرادة الله كما يتلاشى ضوء المصباح فى ضوء الشمس ، وأدبه الرضا التام بما يورده الله عليه من أقداره ، وأى فعل يشعر باغترار الإنسان بإرادته معناه عدم صدقه لله فى عبوديته .

يقول أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى فى أدب الوقت بالمعنى الذى ذكرنا : « منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ، ولا نقلنى إلى غيره فسخطته » .

ويشبه الصوفية الوقت بالسيف ، ويقولون « الوقت سيف قاطع » ، ويعنون بذلك أنه غالب عليهم بما يجرى الله به من قضائه وقدره كما أن السيف غالب بقطعه ، وقيل : معناه لين مسه قاطع حده ، فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم ، كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه انتكس ، وأنشدوا فى ذلك :

وكالسيف إن لا ينته لان مسه
وحداه إن خاشنته خشنان

يقول القشيرى : « ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ، ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت ، وسمعت أبا على الدقاق يقول : الوقت مبرد يسحقك ولا يمحقك ، يعنى لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيت ، لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية ، وكان ينشد فى هذا المعنى :

كل يوم يمر يأخـــذ بعضى
يورث القلب حسن ثم يمضى

وكان ينشد أيضاً :

كأهل النار إن نضجت جلود
أعيدت للشقاء لهم جـــلود

وفى معناه :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحيـــاء

والكيس من كان بحكم وقته : إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة ، وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة » .

وقد أعجب الشافعى رضى الله عنه بفكرة الصوفية فى الوقت والخضوع لحكمه ، ولندع السيوطى يوضح لنا ذلك قائلا : « عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين . وفى رواية سوى ثلاث كلمات ، قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك . وقولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم : العدم عصمة . فقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق هو فى معنى قوله على الصلاة والسلام : الكيس من دان نفسه ، لأن من حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا إلى الاشتغال بالباطل ، إذ هو يشغلها بالمحاسبة عن الباطل . وقولهم : الوقت سيف ، يشبه آخر الحديث : « وعمل لما بعد الموت » ، إذ الذى يعمل للموت لا يقطعه الوقت ، بل هو الذى يقطع الوقت » .

ومما سبق كله يتبين لنا أن الصوفية قد يعنون بالوقت تارة الزمان الحاضر الذى هو واسطة بين الماضى والمستقبل على نحو ما يذكر القشيرى ومنه قولهم : الصوفى ابن وقته ، يعنون به أنه شاعر ومشتغل بما هو أولى به فى الحال ، وتارة بمعنى ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم ، ومنه قولهم : فلان بحكم الوقت ، يعنون أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختياره ، وهذا وهذا أيضا يكون فيما لا حكم فيه من جهة الشرع ، فأما ما فيه حكم من جهته فإن تضييعه وإحالة الحكم فيه على المقادير خروج عن الدين على نحو ما أورده القشيرى وغيره من الصوفية .

« يتبع »

التربية الروحية والجيل الجديد

للأستاذ الدكتور حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المركزى

الدكتور حسن عباس زكى . فوق إمامته الإقتصادية ، عالم رحب الآفاق ، ومتصوف مستنير ذواق ، له دراسته وتجربته ومعرفته فى المنهج الصوفى الذى يؤمن به ويدعوله ويتلون به تفكيره وسلوكه.

ليس فى دعوتى إلى خلق مجتمع يتجه أتجاه واحد فى التفكير والسلوك ما بنا فى الدعوة إلى الاعتراف بحق كل فرد فى أن يحيا ويعمل بحرية تامة ، وليس فى توجيه أفراد المجتمع على اختلافهم وجهة واحدة فى التفكير قضاء على ذاتية الفرد وجعل الأفراد صورا متكررة لأننا نضع فى حسابنا تباين الأفراد فى الطاقة والموهبة ، كما نضع فى حسابنا أن وجود المجتمع الصالح يتطلب ألا يصل التناقض بين أفراده إلى حد التنافر الذى يضع العراقيل فى طريق التطور المنشود .

وإن المجتمع لا يمكن أن يتجه اتجاه إيجابيا يدفع إلى العمل والإنتاج وإلى التعاون والسمو النفسى والخلق إلا إذا تهيأت لكل فرد فرص الحرية والحياة كما يريد ، ووجدت بين يديه الإمكانيات التى توجد التناسق بينه وبين غيره من الأفراد .

فنحن لانريد أن نعود إلى ما كنا عليه ، ويجب أن ننزع من كل فرد فينا هذه الجذور التى تأصلت فيه حتى نستطيع أن نهيئ أنفسنا للمبادىء الجديدة التى تتجاوب معنا وتلمس شعورنا وأرواحنا ، وتنبع من تاريخنا ، وتتصل بماضينا ، ونرجو أن تهيأ لكل فرد فى ظلالها حياة فيها رفاهية من العيش ، وفيها عزة وكرامة للنفس ، وليس فى ذلك سلب لذاتية الفرد وليس طبعا للأفراد على صورة واحدة فى الحجم أو الشكل .

لأن التربية الروحية التى ننادى بها

والمبادىء الدينية التى نعتنقها ، تنادى برفع القيم النفسية ، ومراعاة الحرية الشخصية ، بخلاف تلك المذاهب التى تسلب حرية الفرد ، وتهدم جميع القيم الخلقية وتنكر الغايه من الحياة ، وتفرض السيطرة .

مبادىء جديدة

أما المبادىء التى ننادى بها ، والتى نريد أن تتوفر لمجتمعنا الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، فهى مبادىء تقوم على التسامى بالنفس والخلق ، وتدعو إلى بذل المجهود ومضاعفة الإنتاج وتوفير الحياة الحرة الكريمة لكل فرد بما تهيئه له الدولة من إمكانيات ، وهذه مبادىء جديدة على مجتمعنا الذى نالت منه الانتهازية والرجعية واستغله الأقطاع والاستعمار ، فلا بد من تهيئة كل فرد لهذه المبادىء الجديدة التى نعلم تمام العلم أنها خاضعة لسنة التطور وللتجارب ولملابسات الاستكشافات الجديدة فى العلم وفى قوانين الحياة .

وإننا إذ كنا ندعو إلى اتخاذ شارات من الزهور أو المأكولات فلسنا نعنى بذلك نازية ولا فاشية وإنما نعنى توحيدا للقوى الإنسانية وتوجيها للافكار توجيها إيجابيا .

وما مثل ذلك إلا مثل الأعلام والشارات التى تتخذها الدول لتوجيه أبنائها اليها نحن فى حياتنا اليوم نجد كل مدرسة تتخذ لها زيا خاصا بابنائها أو شارة ترمز إليها ، أو نشيدا ينشده التلاميذ فيها ، كما أن المصنع يتخذ لعماله زيا خاصا . وشارة تدل عليه . ولسنا نرى فى ذلك إلا توجيها من المدرسة إلى الطابع الخاص بها وتوجيها من المصنع إلى العمل الذى يقوم به والجهد الذى يبذل لتنمية هذا العمل . وما نظن أحدا يتصور أن ذلك مدعاة لصنع التلميذ فى قالب متكرر ، أو فى جعل العمال آلة لا تتغير ولا تتبدل .

ولو ساغ أن نفهم ذلك لساغ لنا أن نقول بغلق المدرسة وإبطال المصنع لأن كلا منهما يصنع قوالب تهبط بالفرد وتنافى إصلاحه كما تنافى إصلاح الجميع .

ماله . . . وما عليه

إن فلسفتنا تقوم على إدراك الدولة لغايتها هو الذى ييسر لها أن تضع لأفرادها النظم التى توسع أمامهم مجال العمل ، وتجعلهم يقبلون على مشروعات الدولة محتفين بها باذلين الجهد لأقامتها حتى تتوفر لهم سبل الحياة فى كل قطاعاتها الاجتماعية

والسياسية والاقتصادية لأن الأهداف التى ترسمها الدولة لنفسها لا يمكن أن تبرز إلى حيز الوجود إلا إذ أمن كل الأفراد بها إيمانا عميقا ، ورأوا فيها ما يصلح حياتهم .

فمعنى إصلاح الفرد هنا أن يفهم ما يجب عليه ، وما يحق له فيؤدى الأول، ويأخذ الثانى ، ومعناه أن يرسم لنفسه الطريق الذى يسير فيه مع غيره حتى يتوجه الجميع إلى السير فى هذا الطريق دون تهيب ولا تعثر ، وليس معناه أن نتركه بلا عمل ولا دخل ولا إيراد وإنما معناه أننا إذا قومنا فيه اعوجاجه استطاع هذا التقويم أن يدفعه فى ركب الحياة الصحيحة ، ويبصره بالطريق السوى .

مقومات الجيل

إن الجمهورية العربية المتحدة تهدف إلى استغلال كل الطاقات ، طاقات الفرد النفسية والفكرية والجسمية ، كما تهدف إلى أستغلال طاقاتها الكامنة فى أرضها ، وجوها ومياهها ولن يمكنها ذلك الا إذا كونت أفرادها تكوينا يهيء لكل منهم أن يسهم بدوره فى إبراز هذه الطاقات . فليس من المعقول أن تنشىء الدولة مصنعا دون أن تفكر أولا فى ميزانيتها وفى ميزانية هذا المصنع ، ثم تبنى فى المكان الملائم ، وتوجد المهندسين الذين يقومون عليه ، وتدرب العمال الذين يشتغلون به ، وإلا فكيف يكون حالنا لو أقمنا المصنع وحشدنا العمال أمام الآلات ، أيجوز فى أذهاننا ان ينطبع العامل مع الآلة ؟ وهل يشعر بأن الدولة قدمت له الأجر الذى يؤسس به البيت ، ويربى منه الأولاد وإذا جاز هذا فهل يكون راضيا عن شعوره ؟ وهل يهنأ بهذا الأجر ، وهل يرضى أحد أن تتصرف الدولة على هذا النحو الذى إن دل على شىء فإنما يدل على الفوضى والفساد ؟

إن الدولة تسير لتخلق للجيل الحاضر مقوماته المادية والمعنوية ، ولتنزع من نفسه الرواسب الضاربة فى أعماقه ، وهى فى الوقت نفسه تعمل لخلق جيل جديد متحرر من هذه الرواسب .

مناجاة إيمانية :

يـــــارب

للأستاذ إبراهيم أبو الخشب الأستاذ بكلية الشريعة

أنت الحى الذى لا يموت ، لك الملك والملكوت ، والقدرة التى حار فى فهمها الأكياس من جميع الناس .. ولك الحكمة التى تخفى على أفكار الفلاسفة ، وتجل عن كل نعت وصفة ، خلقت الوحش كاسرا ، والطير حاسرا ، وأودعت فى النار الاحتراق حتى لا تضر الأوراق ، وصيرت فى هذا الكون نفعه وضره ، وخيره وشره ، لأمر أنت تعلمه ، وغيرك لا يفهمه .. إذا شئت سلبته ما فيه ، من قوادمه وخوافيه لأن لك وحدك كلمة التكوين ، وقوة التمكين ، والوعد الذى لا يمين . . . سبحانك ما أعظم غيبك ، وأكثر سيبك(١) ، وأوسع دنياك التى تصرفها . ومخلوقاتك التى تقيمها على الجادة أو تحرفها ، يناطح بعضها بعضاً ، وتنقلب سماؤها أرضا ، ويتحدى القوى الضعيف ، فى لقمة الرغيف ، ويعز على الطرفين الوفاق كأن لم يكن بينهما ارتفاق . ولا عيش رفاق ، وهنالك تبعث الريح الرخاء ، والهواء بالإخاء ، لتحيل الكدر إلى صفاء ، والغدر إلى وفاء ، والخصومة الحادة إلى مودة جادة ، أو تأخذ المعسكرين أخذ عزيز ، وتقضى على الدمدمة والأزيز فلا تمرد وطغيان . وفورة وغليان ؛ ولكن أحاديث قرون ، وعظات نيرون .

وهكذا يكون السلطان والعدل والميزان ، والجود والإحسان ، والجنة والنيران .... لا إله إلا أنت بيدك المقادير . وإليك المعاذير . أنت صاحب الخلق وعندك خزائن الرزق ، ونحن كلنا عيال ، وتطفيف مكيال ، لولا لطفك الذى تبديه ، وثوبك الذى تسديه ، وبرك الذى توليه وتهديه . .

من عززته عز ، ومن آزرته بز ، ومن تخليت عنه أصابه الوبال ،

(١) عطاءك

والبلبال ، ونكد البال ، وأصبح حاله يتحول ، واشتبه آخره بالأول . . يكثر شينه ، ويقل زينه ، ويثقل دينه ، وتعمى عينه ، ويلح عنه أينه ، وينأى عنه الأصحاب ، وتعافه الأحباب ، ويصير أمره إلى تباب . فاللهم لا تتركنا للهوى المذل ، والرأى المضمحل ، لأننا عبيدك الضعفاء . وأولياؤك الأوفياء ، مهما كانت وسوسة الشيطان ، وذبذبة الجنان ، وغطرسة البهتان ، إليك نهاية الحال ، وخاتمة المآل ، وفصل المقال ، وحبلُ العقال ، ونحن نترامى بين يديك ، هاتفين لك لبيك ، ولا مُعَوَّل إلا عليك .

الشريعة والفقه

للمرحوم الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى

« إن الدين فى كتاب الله غير الفقه ، وإن من الإسراف فى التعبير أن يقال عن الأحكام التى استنبطها الفقهاء وفرعوا عليها ، واختلفوا فيها ، وتمسكوا بها حينا ، ورجعوا عنها أحياناً إنها أحكام الدين وأن من أنكرها فقد أنكر شيئا من الدين ، فإنما الدين هو الشريعة التى أوحى الله بها إلى الأنبياء جميعا .

أما القوانين المنظمة للتعامل ، والمحققة للعدل ، والدافعة للحرج فهى آراء للفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف العصور والاستعدادات ، تبعا لاختلاف الظروف والبيئات .

ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه ، مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض ، وتفنيد كل لآراء مخالفيه ، وعدها باطلة — لحقت علينا كلمة الله سبحانه : « إن الذين فرقوا دينهم وكانو شيعا لست منهم فى شىء »

لا حسد إلا فى اثنتين

للأستاذ محمود حلبى

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

(رواه مسلم)

قال النووى : قال العلماء الحسد قسمان ، حقيقى ومجازى ، فالحقيقى تمنى زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة ، مع النصوص الصحيحة وأما المجازى فهو الغبطة ، وهو أن يتمنى مثل النعمة التى على غيره ، من غير زوالها عن صاحبها ، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعة فهى مستحبة .

والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا فى هاتين الخصلتين ومافى معناهما ، قوله صلى الله عليه وسلم (آناء الليل والنهار) أى ساعاته وواحده الآن . انتهى .

* * *

كلما تأملت هذا الحديث الشريف أحسست بعظمة النبوة ، وإشراق أنوارها ، وتلألؤ سناها فى ثناياه .

لا حسد ...

لا ينبغى التحاسد ، لا ينبغى أبدا أن تتمنى زوال نعمة الغير ...

هذا شىء لا يليق بالمؤمن ، لأن المؤمن يعلم أن كل شىء بقدر .. وأن الله قسم بين الناس أرزاقهم وأخلاقهم وكل شىء فيما بينهم ، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ... ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .. جفت الأقلام وطويت الصحف ... الخ هذه النصوص والتوجيهات والحقائق التى يؤمن بها المؤمن .

نعم التحاسد شىء لا يليق بالمؤمن لأنه إذا تمنى زوال نعمة غيره ، فقد صادم القدر ، وعارض أمر الله ..

إنه مهما يتمنى فلن يكون له ما تمنى
أم للإنسان ما تمنى ! ... كلا .. بل
لله الآخرة والأولى .

هب أنك رأيت إنسانا فى نعمة ،
ومكثت طول عمرك تتمنى زوالها ،
هل هذا التمنى يذهبها عنه ؟ كلا .. فأولى
لك ثم أولى أن تنصرف بعواطفك إلى
شىء آخر يعود عليك بالنفع وعلى غيرك .

والحسد صفة من أخس الصفات
تجعل القلب يغلى بالأحقاد غليانا ،
وتوشك أن تذهب بكل خير تبقى فى
قلب الإنسان .

أنظر كيف دفع الحسد إخوة
يوسف ، وهم أولاد نبى إلى التآمر على
أخيهم الطفل . فذهبوا ليقتلوه ؟ ...
فماذا كان رد القدر عليهم ؟

كان ردا دامغا قويا ... أن من
الله عليه ، وآتاه الملك والنبوة .. وهما
أرفع نعمتين يمن الله بهما على إنسان .
أما الملك فهو أعلى مقام فى الدنيا ،
وأما النبوة فهى أعلى مقام فى الآخرة
آتاه الله هاتين النعمتين العظيمتين ، ردا
عليهم وعلى أمثالهم ، إنه لا ينبغى معارضة
القدر ، ولا مقاومة الإرادة الإلهية .
وجاء بإخوته فقراء أذلاء يستجدونه
أن يحسن اليهم ويتصدق عليهم ...
كذلك جزاء المحسنين .. وكذلك
يكون عقاب الحاسدين .

نعم لا ينبغى أن يحسد المؤمن ..
وإنما يسأل الله من فضله الواسع ...
« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض وسلوا الله من فضله »

ما أجمل وأحلى ذلك التوجيه
الإلهى الكريم ؟

لا تتمنوا أيها الناس ما فضلنا به
بعضكم على بعض ... نهى إلهى كريم
عن صفة حيوانية خسيسة ... فهل
وقف القرآن عند ذلك ؟ .

كلا ... وإنما سارع يضع العلاج
فما العلاج ؟ وسلوا الله من فضله ...
إن خزائن الله مليئة لا تغيض ... وهذا
الذى تراه من النعم التى تغمر الخلق
جميعا إنما هو بالنسبة إلى ما فى خزائنه
سبحانه « كما يغمس أحدكم أصبعه فى
الماء ثم ينزع فلينظر ماذا يرجع ؟ » .
لا شىء والله يارب لا شىء .. لا شىء
ما فيه الناس جميعا من النعم بالنسبة إلى
ما فى خزائنك .. إذاً العلاج أن نسأل
الله من فضله ... أن أتوجه إلى الله
وأدعوه أن يؤتينى مما فى خزائنه ...
وهو الجواد المعطى الذى لا يردك
خائبا أبدا ..

لا ينبغى إذاً أن يكون الحسد من
المؤمن . بعد أن تجلت تلك الحقائق
وتألقت ...

ذلك توجيه الله سبحانه وتعالى ، وتلك تعاليم كتابه فى علاج الحسد .. فما توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتعاليمه فى علاج الحسد ؟

لن يخرج مايصدر عن رسول الله عما ينزل من عند الله ؟

رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .

إذا أردت أن تحسد أيها المؤمن فاحسد هذا الإنسان .

أنظر .. كيف يوجه صاحب الرسالة قلوبنا إلى أعلى ثم إلى أعلى الأعلى ... ثم مايزال يتسامى بنا ويتسامى حتى يحلق بنا إلى أعلى مقام فى الآخرة وهو أن تكون عالما عاملا بالقرآن .

رجل آتاه الله القرآن ... آتاه الله القرآن حفظاً وفقها ودراسة وبحثاً وتفصيلا وإجمالا ... فهو يقوم به .. فهو يعمل به ... آناء الليل وآناء النهار هو يعيش ليله ويومه بالقرآن ... يطقه على نفسه ... ويدعو الناس إليه ... فهو داعية إلى الله عن فقه وإدراك ، وفهم وشمول ... هو خير الناس إذاً ، وأوسعهم قلبا ، وأرفعهم مقاما عند الله ..

إنه يتكامل فى نفسه ... ويدعو سواه إلى الكمال والتكامل ومن من الناس أعظم من هذا ؟

وهل تطيق أيها المؤمن ذلك ؟

هذا مايدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، ويحببك فى حسد من كان شأنه كذلك !

تمنى أن تكون كابن عباس ، تمنى أن تكون كأبى هريرة ، تمنى أن تكون كالشافعى ، تمنى أن تكون كابن حنبل تمنى أن تكون كابن القيم ، تمنى أن تكون كالغزالى ..

تمنى ماشئت من العلماء العاملين . واحسدهم على ما آتاهم الله .. وحاول أن تكون مثلهم ، أو حتى شيئاً ولو قليلا منهم .

أرايت جمال التوجيه ، وكمال الإرشاد؟.. إنها النبوة .. ومن يستطيع الإرشاد غير رسول الله ؟ .

* * *

هذا من ناحية النعم التى تؤدى إلى العلو فى الآخرة ، أو هذا من ناحية النعم الأخروية . فما بال النعم الدنيوية التى هى مطمح النفوس جميعا .. وهدف الناس كلهم .. « بل تحبون الآخرة وتذرون الآخرة » ؟

ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ..

نظر النبى صلى الله عليه وسلم فعلم أن المال هدف الناس جميعا « وتحبون المال حبا جما » ، وأن صاحب الأموال

محسود دائما من الذين تخلفوا عن اللحاق بمواكب الأغنياء ، وإن كل ذى نعمة محسود ، فجعل صلى الله عليه وسلم يضع العلاج النبوى لهذا الداء .

وأى داء ؟ .. المال يا صاحبى .. المال الذى عبده ابن آدم من دون الله

المال .. إله الناس جميعا ، يعبدونه من دون الله .. إلا من آمن بالله .. فانتزع نفسه من تلك العبودية المالية المهينة .

أى الناس أعظم فى نظركم أيها الناس ؟

أليس هو أغناهم ؟

أليس هو المليونير ؟

لا تتمنوا ما هو فيه .. لأنه مفتون بما هو فيه . إنه يمتحن بذلك المال. هل أدى ما افترضه الله عليه فى ماله من زكاة وصدقات ؟

فإن لم يكن الغنى من أولئك الذين يؤدون حق الله فى أموالهم ، فاعلموا أنه مبتلى مغضوب عليه من الله . . . وإنما زاده ليزيده ضلالا وبعدا . . . « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » .. نعم فأيما غنى لم يؤد حق الله فى ماله فهو من أحط الناس قدرا عند الله ، وأبعدهم منه درجة يوم القيامة .

تلك حقيقة .. ويزيدها جلاء إذا علمنا أن الأغنياء الذين لا يفكرون إلا فى تضخيم ثرواتهم على حساب الضعفاء والفقراء . إنما هم قوم مجرمون حقا .. لأنهم اكتنزوا إيراد الأرض لأنفسهم ، بينما جعله الله أصلا رزقاً للناس جميعاً .

فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار أما إن كان الغنى ينفق أمواله ، ليلا ونهارا ، دائما وأبدا .. فى سبيل الله فى طاعة الله ، يخرج زكاته ، يكثر من الصدقة .. بل يبذل ماله دائما فى سبيل الله ، فذلك رجل عظيم .. موفق إلى الخير .. هذا هو الغنى العظيم الذى يبذل ماله فى الخيرات ، فيما ينفع الناس . .

أمثال أبى بكر الذى جاء بماله كله ووضعه بين يدى رسول الله !

أمثال عمر الذى جاء بنصف ماله يريد أن يسبق به أبا بكر إلى رسول الله

أمثال عثمان الذى كان يجهز الغزوة كلها من ماله الخاص ..

أمثال كل غنى موفق إلى الخير فى ماله .

* * *

لا حسد ينبغى من المؤمن .. فإن أراد أن يحسد فليحسد الدعاة فى دعوتهم إلى الله ؛ وليحسد الأغنياء فى نزولهم عن مالهم حبا فى الله ..

وهل هذا من الحسد ؟

كلا إنه استباق إلى الخيرات !

خواطر فى يوم الذكرى :

عام مضى . .

على النجم الذى هوى

لسماحة السيد محمد علوان

احتفل سماحة السيد محمد علوان فى مساء يوم الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٥٩ بذكرى مرور عام على وفاة زوجه الكريمة . . وتلك عبراته ومناجاته فى يوم الذكرى .

ربنا لك الحمد وإن أدمى قلوبنا قضاؤك ، ولك الحمد وإن عصف بنفوسنا ابتلاؤك ، نحن عبيدك وعبادك ، فألهمنا الشكر عند نعمك ، وألهمنا الصبر عند نقمك ، بل ألهمنا الرضا والتسليم لأمرك ، فلا راد لقضائك ، ولا معقب على مشيئتك .

ربنا وإن جزعت قلوبنا ، فثبت إيماننا ، وإن دمعت عيوننا ، فارحم ضعفنا ، وإن ثارت نفوسنا ، لمس العـــذاب ، وقسوة المصاب ، فأفض علينا سكينة من عندك ، وروحا من لطفك .

ربنا وأنت العليم بأمرنا ، نواصينا بيدك ، وقلوبنا فى قبضتك ، وغدنا رهن مشيئتك ، جئنا إليك فى يوم الذكرى ، ذكرى النجم الذى هوى ، والخدن الذى مضى ، فحطم بيتاً ، كان أمنه وسلامه ، ونوره وإلهامه ، وحنانه واستقراره ، وغادر زوجا ، يقلب كفه ، وقد تمزق قلبه ، وانطفأ أمله ، وترك أطفالا صغاراً ، فى نضارة الورد ، وعمر الزهر ، يتلفتون هنا وهناك حيارى ، أين القلب الحانى الذى طالما ضمهم ، وأين الصدر الرحيم الذى طالما جمعهم !! وأين الروح السماوى الذى كان أنسهم ونعيمهم وحياتهم !! أين . . ثم أين . . ثم لا تفنى المعانى ، ولا تنتهى أين !!!

جئنا إليك ربنا فى يوم الذكرى ، نسألك خاشعين ضارعين أن تكون عوضاً منا للفقيدة الغالية ، فتسكنها الجنات العالية ، جزاء ما قدمت لنا وللدنيا كلها ، من خير وفضل وعمل صالح . . وأن تكون لنا عوضا عنها ، فتملأ دنيانا نوراً وعزاء وصبراً وأملا .

إنك سبحانك ، أنت وحدك . جل جلالك القادر على ذلك .

ندوة الإسلام والتصوف

مدرسة الرسول
والتربية الروحيـــة

اجتمعت ندوة الإسلام والتصوف الشهرية فى الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ١٥ من جمادى الآخرة سنه ١٣٧٩ هـ الموافق ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وحضرها من أعضاء النـــدوة الأساتذة : السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، وماهر اسماعيل جاهين . وأبو الوفا التفتازانى ، ومحمود الكولى ، وعبد الرحمن العطار وعبد الرحمن أبو النصر المحامى ، ومحمد النشرتى ، وطه عبد الباقى سرور .

وحضرها من رجال الطرق الأساتذة : السيد محمد حسن شمس الدين والسيد محمود فضـــل ، والسيد عبد الجليل الزينى .

وفتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحباً بالسادة المجتمعين . ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور . موضوع الندوة وهو :

مدرسة الرسول
والتربية الروحية

سماحة السيد محمد محمود علوان :

يسعدنى أن أقدم لندوة مجلة الإســـلام والتصوف رجلا من العلماء العارفين . والمربين الروحيين هو الأستاذ الشيخ ماهر اسماعيل جاهين وهو الذى اقترح موضوع ندوتنا الليلة . وسأترك لسيادته الكلمة . ليقدم للندوة .

الأستاذ الشيخ ماهر اسماعيل :

الرسول عليه الصلاة والسلام جاء من عند الله كاملا فى نفسه ، مكملا

لغيره فهو صلوات الله عليه أكمل الخلق قاطبة .

وقد تتلمذ الصحابة رضوان الله عليهم ، عليه فحاولوا جاهدين أن يقتبسوا من خلقه ، وأن يهتدوا بهديه ، وأن يعيشوا مستهدفين التشبه به فى كل أعماله وعبادته ، ولهذا كانوا أكمل الخلق بعد الرسل .

وبعد فترة من الوقت ، أى بعد انقضاء فترة الخلافة تفرق الناس . أو تفرق المسلمون فى البلدان ، وآمن الكثير ممن من لم يؤمنوا فى عهد الرسول ، فأخذ الإسلام طابعاً غير طابعه المحمدى .

فظهر حينئذ جماعة من المؤمنين يعملون بما كان عليه رسول الله وأصحابه .

فأخذوا فى حياتهم الروحية والدينية بحياة الرسول الروحية وقد أكسبتهم هذه الحياة طابعاً خاصاً عرفوا به فى الأوساط الإسلامية بجماعة الصوفية .

وكان نهجهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله فى نطاق حديث رسول الله مقام الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه » .

لقد فتحوا مدارسهم أو أحيوا المدرسة الإسلامية على ضوء هذا الحديث .

وهذه المعانى كلها واضحة فى كتاب الله يدركها المؤمنون بالذوق وهذا الذوق لا يمكن التوصل إليه إلا عن طريق المجاهدة التى وضع لها المؤمنون قواعد ورسوما عملا بقوله سبحانه : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » « وإن الله لمع المحسنين » وهم الذين يعبدون الله فى مقام الإحسان .

وقد استنبطوا العلوم القلبية كما استنبط الفقهاء الكثير من الأحكام والقواعد والرسوم من علوم الفقه .

ولما كان هذا النهج يشق على عوام المؤمنين ولو كانوا علماء اتهموهم بالغلو والتطرف وسموهم كما شاءوا أن يسموهم .

والباحث الصادق المتتبع لأخلاق المؤمنين من هؤلاء لا يجد فرقا بين خلق المتصوف حقا ، وخلق الصحابى رضوان الله عليهم .

مثل ذلك أنه يروى عن على رضى الله عنه أنه بارز كافراً فى غزوة فلما اعتلى صدره بصق فى وجهه فقام من عليه فسئل عن هذا ؟ فقال : لقد

« البقية على صفحة ٦٨ »

الأهداف الاجتماعية التعاونية

فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

تتجه الشريعة الإسلامية فى كل أحكامها إلى تحقيق الأهداف الاجتماعية، إذ هى المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، فقد جاءت لتكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها، قاصيها ودانيها. وابتدأت فاتجهت إلى تربية المسلم ليكون عضواً فى مجتمع. والعبادات الإسلامية، والفضائل التى دعا إليها الإسلام تتجه نحو تحقيق هذه الأهداف، وتوجيهه إليها.

فالعبادات شرعت لتهذيب النفوس، وتربية روح المساواة، وروح الاجتماع الذى لا اعتداء فيه، وإذا كانت العبادة لا تحقق تلك الأهداف، فهى ليست عبادة، ولا يقبلها الله، وهى تجلب الذم لصاحبها ولنضرب لذلك مثلا بالصلاة التى هى أوضح العبادات الشخصية، فقد وصفها القرآن الكريم بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فقال سبحانه: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» فإن لم تؤد إلى هذه الغاية فهى ليست مقبولة فإذا كان يصلى، ويأكل مال الغير، فهى ليست صلاة مقبولة وهو محاسب عليها، والويل له من الله، ولذا قال سبحانه: «ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» أى يمنعون الزكاة التى بها العون من الغنى للفقير.

والزكاة تعاون اجتماعى يجعل للفقير حقاً معلوماً فى أموال الغنى، فهى تكليف اجتماعى خالص، ومصرفها اجتماعى خالص، ونظامها فى الجمع والتوزيع لا يذل الفقير. ولا يجعل الغنى يشعر بعزته فوقه، ولذا قال الفقهاء بالإجماع إن ولى الأمر هو الذى يجمعها،

وهو الذى يوزعها على مصارفها ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « خذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم » .

ولقد جعل الإسلام كفارات الذنوب تعـــاوناً اجتماعياً ، فمن أفطر فى رمضان فعليه عتق رقبة ، أو صيام ستين يوماً أو إطعام ستين مسكيناً ، ومن قال لامرأته أنت حرام على كأمى لايقربها إلا إذا أعتق رقبة ، أو صام ستين يوماً أو أطعم ستين مسكيناً ، ومن حلف وحنث فى يمينه كان عليه عتق رقبة ، أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

وهكذا نجد الكفارات للذنوب تعاوناً اجتماعياً ، وكأن الذنب الذى يرتكب ، أو التقصير فى عبادة هو اعتداء اجتماعى ، فلا يكفر الاعتداء الاجتماعى إلا تعاون اجتماعى يسد النقص ويزيل الخلل ، ولقد اعتبر كل إعطاء للفقير مكفراً للسيئات ، مطهراً من المعاصى ، ولذا قال عليه السلام : « الصدقة تطفىء المعصية ، كما يطفىء الماء النار ، إذ كل معصية ضؤلت أو كبرت ، أعلنت ، أو أخفيت ، تعد اعتداء اجتماعياً فلا تزول إلا بتعويض للمجتمع ، فالكذب والنميمة والغيبة وغير ذلك من الآفات الاجتماعية التى قد تحدث من الأشخاص من غير اكتشاف لها ، أو وضع رقابة مستمرة عليها هى معاص اجتماعية ، ويجب لتكفيرها أن يتوب صاحبها ، ويقلع عنها ، وأن يقدم للمجتمع معونة بقدر ما قدم من أذى على طاقته .

فضائل الإسلام الاجتماعية :

ولقد حث الإسلام فى سبيل تطهير المجتمع من المفاسق العلنية على أمرين .

أولها — الحياء ، إذ هو أساس اللياقة فى المجتمعات ، فالحياء يوجب على المرء ألا يظهر منه ما ينفر منه الذوق الخلقى السليم ، ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » وقال عليه السلام ، « الحياء خير كله » وقال عليه السلام : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » وإن أولئك الذين تلقاهم وأنت تعبر الطريق ، أو تركب معهم مركباً عاماً فترى فيهم مشيةً لايراعى فيها حق الغير ، أو مجلساً ينافى الذوق واللياقة — هؤلاء قد فقدوا الحياء ، وإن هذه الهيئات تدل على نفس غير متآلفة مع المجتمع ، وإذا تربى الحياء فى النفس كان الشخص ممن يألف ويؤلف ، ولذا قال عليه السلام : « المؤمن مألف ، فلا خير فيمن لايألف ولا يؤلف ،

ولا بناء يقوم على أساس اجتماعى سليم إلا إذا كانت لبناته جميعها متآلفة، يتماسك بعضها فى بعض .

الأمر الثانى — أن الإسلام فى سبيل أن يكون المجتمع فى مظهره فاضلا ، أوجب أن تستتر الجرائم ، ولا تعلن ، فلا تكشف أستار الجرائم ، أمام الملأ من الناس ، وقد تكون العقوبة علنية ، ولكن الجريمة يجب ألا يعلن على الناس أمرها ، لأن إعلانها يفسد الجو الخلقى للمجتمع ، ويجعل الشر معلناً ، وإعلانه يغرى باتباعه ، ويشيع فساده بين الناس ، فالفاحشة إذا أعلنت اتبعت ، وكل نفس تميل إليها ، وتجد ما ينمى ذلك الميل ، وتأخذ مما أعلن سبيلا للتنفيذ، ولذلك اعتبر الاسلام من يرتكب جريمة ويعلنها قد ارتكب جريمتين . جريمة الارتكاب وجريمة الإعلان ، ومن أعلن جريمة غيره فقد شاركه فى إثم ما ارتكب بمقدار ما أعلن .

ولقد صاح محمد بهذه الحقيقة فقال عليه السلام : أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فاستتر فهو فى ستر الله ، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد » فالعقوبات المشددة فى الإسلام تكاد تكون للإعلان لا لأصل الارتكاب ، ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً : « إن من أبعد الناس منازل عن الله يوم القيامة المجاهرين ، قيل ومن هم يا رسول الله ؛ قال ذلك الذى يعمل بالليل وقد ستره الله عليه ، فيصبح ويقول فعلت : كذا وكذا يكشف ستر الله » .

تكوين رأى عام فاضل :

وإنه فى سبيل تهذيب الآحاد أوجب أن يكون هناك رأى عام مهذب لائم ، يحث على الخير ، وينهى عن الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إن الرأى العام له رقابة نفسية تجعل كل شرير ينطوى على نفسه فلا يظهر ، وكل خير يجد الشجاعة فى إعلان خيره ، فلا يهذب الآحاد إلا الرأى العام الفاضل ، ولا يفسد الجماعة إلا الرأى العام الذى يتقاعد عن نصرة الفضيلة ويترك الرذيلة تسير رافعة رأسها .

ولذلك حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأوجب الإرشاد العام ليمتنع الضال عن شروره ، بإرشاد الفاضل وهدايته ، ولتكون الجماعة فى فضيلة ظاهرة ، ولقد اعتبر القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عنوان الأمة الفاضلة ،

فقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

واعتبر الجماعة كلها تكون آثمة إذا سكتت على الإثم وهو يسير رافعاً رأسه ولذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى بنى اسرائيل إذ تركوا الأمر بالمعروف آثمين فقال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

واعتبر الإسلام الآثمين هداميين لكل بناء اجتماعى سليم ، وأن الفضلاء إذا لم يأخذوا على أيديهم سقطوا جميعاً فى الرذيلة ، ووراء الرذيلة الهاوية التى لا تقوم بعدها للأمة قائمة إلا أن يغير الله سبحانه وتعالى حالها ، ويبدل من أمرها ، ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« مثل المُدْهِن فى حدود[1] مثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم فى أسفلها ، وبعضهم فى أعلاها ، فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذى فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا مالك ؟ قال تأذيتم ولا بد لى من الماء فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » .

وإن هذا مثل يصور تعاون المجتمع فى محاربة الآفات الخلقية والاجتماعية ، ويبين أن الرشيد عليه أن يهدى الضال ، وأن العالم عليه أن يبين للجاهل ، ولقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « لا يسأل الجهلاء لِمَ لَمْ يتعلموا حتى يسأل العلماء لِمَ لَمْ يعلموا » .

ولقد بين الإسلام أن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى إلى تدابر الأمة وتنابذها . ويقطع ما بين آحادها من روابط الرحم والقرابة والجنسية والدين . وذلك لأن الإثم مفرق ، والخير جامع موحد ، وما تفرقت الجماعات إلا بسيادة الرذيلة فى جموعها ، وعموم الظلم لربوعها ، ولقد قال عليه السلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر . ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراء ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض » .

وذلك لأن الذى يرتكب المعاصى يعتدى ، فإذا أهمل الاعتداء تفرقت

(١) المدهن فى حدود الله هو الذى لا يقيم الحق ، ولا يخفض الباطل مجاملة أو ملقا أو تهاونا

الأمة ، واضطرب حبل الأمور فيها ، وصارت من غير روابط تربطها ، ولا وحدة تجمعها وإنا لنرى ذلك واضحا كل الوضوح فى الأمم التى انهارت فى أول صدمة فى الحرب الأخيرة ، فلقد قال زعيم لإحداها : إنهارت لفساد أخلاقها ، وذهاب مكارم الأخلاق بين آحادها .

قلنا إن الأساس الأول لبناء المجتمع هو الأخلاق الفاضلة وقد عمل الإسلام على تربيتها بالعبادات أولا ، ثم بمنع ظهور الشرور وكتمها ثانياً ، ثم بتكوين رأى عام فاضل ثالثاً ، ولذلك حق للنبى صلى الله عليه وسلم أن يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وفى هذا الحديث النبوى إشارة بينه إلى أن مكارم الأخلاق هى دعوة النبيين أجمعين ، وكل نبى ساهم فى بناء ذلك الصرح الشامخ الذى تتكون به الحضارات الإنسانية العالية ولقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم من بعدهم ، فأتم مابدءوا ، وإن الانحلال الاجتماعى فى هذا العالم اليوم ، إنما وقع لأن الفضيلة قد ذهبت فى علاقات الآحاد ، وفى علاقات الجماعات ، وفى علاقات الدول .

وإنه لا ائتلاف بين جماعة ، كما أنه لا ائتلاف بين الجماعات فى أمة إلا على بنيان من الفضائل .

وإن الفضائل ليست هى التى تؤلف بين الآحاد فى الأمة الواحدة . بل هى التى تؤلف أيضاً بين الأمم ، فإنه إذا غلبت فكرة العدالة التى هى قوام الأخلاق بين الدول فإن الحروب تختفى والأحقاد تموت ، ولا يحكم قانون الغابة ، كما عبر بعض الساسة ، وإنه إذا كانت الصداقات الحقيقية التى تبنى على الإلف الروحى الفاضل هى التى تربط الدول ، كما تربط بين الآحاد ، فإنه بلاشك تختفى الروح المادية الشرسة التى تجعل الدول تتغالب على موارد المال ، كما تتغالب الوحوش على فرائسها ، وتريد المال للغلب وللقهر ، لا للانتفاع بخيرات الأرض .

وإن المجتمع الذى ينظمه الإسلام يحكم بقواعد عامة ، وهذه القواعد تبدو فى الأسرة ، وفى الجماعات ، وفى الدولة ، وفى العلاقات الإنسانية بين الناس مهما تختلف ألوانهم وأجناسهم وأديانهم ، وهذه القواعد تتلخص فى المحافظة على الكرامة الإنسانية ، والعدالة بكل صورها ، والتعاون العام والمودة والرحمة بالإنسانية ، والمصلحة ودفع الفساد فى هذه الأرض .

قطرات من بحر التصوف

للأستاذ محمد لبيب البوهى

التعلق بصفات الله والتعبد بصفات الإنسان :

يضع الصوفى أمامه كل صفة من صفات الله ـ ويفتح لها قلبه وروحه ويتعلق بكل مدلول لها ويحاول جاهداً أن تسرى معانيها فى دمه لتصبح جزءاً من كينونته .

ومن صفات الله العزة . والكبرياء .. والعظمة .. والغنى .. والقدرة ـ والعلم وغير ذلك من أوصاف الكمال المطلق الذى لا نهاية له ، والتعلق بهذه الصفات هو التخلق بها وحمل النفس عليها بالمجاهدة فلا يرى فى الوجود إلا الله فإذا تفكر فى وصف العزة انتقل إليه هذا المعنى فصار عزيزاً لعزة الله وإذا تفكر فى وصف الغنى استغنى تماماً عما سوى الله ، وإذا تفكر فى وصف القدرة لم يلتجىء فى حال ضعفه وعجزه لغير قدرة الله .

وهكذا فى جميع الأسماء والأوصاف — وتختلف درجات الصوفية طبقاً لعمق هذه المعانى فى النفس ودرجات تأصلها .

* * *

ويرى الصوفى أن كل صفة من صفات الله تقابلها صفة من صفات الإنسان ،

فالغنى يقابله الفقر .

والعز يقابله الذل .

والقدرة يقابلها العجز .

ولا بد من مواجهة النفس فى عبادتها بتلك الصفات ـ فمن استغنى بالله افتقر إليه ، ومن تعزز بالله ذل له .. ومن شاهد قدرته رأى عجز نفسه .

وهناك حركتان تلازمان تنفيذ هذا المنهج الصوفى .

حركة باطنية .

وحركة ظاهرية .

فالتعلق بصفات الله حركة باطنية

وكلما تعمقت فى الباطن ارتفعت درجة صاحبها .

وتنفيذ صفات النفس المقابلة لصفات الله . حركة ظاهرية . لأنها عبادة ـ تنفيذ .

وكلما ظهرت صفات الإنسان على حسه ظهوراً واضحاً عظمت درجة صاحبها .

وبالسير فى الطريق .. وبالمجاهدة .. والمواظبة . . تندمج الحركتان . . الظاهرية ـ والباطنية .

فيصبح الصوفى وهو لا يرى إلا الله . ولا يحيا إلا بالله .

ولا يأتى عملا إلا وهو يرى فيه آيات الله وهى درجة نورانية تستحق ما يبذل فيها من جهد ومشقة .. فإن عاقبتها حلاوة لا توصف ـ تشعر بها النفس ويعجز عن وصفها اللسان .

* * *

وهناك خطأ شائع فى حياة الناس ذلك هو ادعاؤهم من الصفات ما ليس لهم ـ وما هو مناقض لحكمة الحياة ـ كاتصاف العبد ـ اتصافاً نفسياً شهوانياً فيه للنفس متعة ذاتية ـ بصفات العز . والعظمة ـ والكبر . والعلو . والادعاء .

فمن فعل ذلك استحق من الله الطرد من رحمته ، وفى الحديث القدسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما قصمته »

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : « لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »

وفى البخارى .. روى شىء عن قصة سيدنا موسى عليه السلام ـ أنه خطب فى الناس خطبة ذرفت منها العيون .

فقام إليه رجل فقال له .

هل تعلم أحداً أعلم منك ؟

فقال موسى .. لا

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فقال له بلى ، عبدنا خضر هو أعلم منك

فكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه .. لقد أدبه ربه بطلب غيره حتى صار تلميذاً له يأمره وينهاه .

* * *

والقاعدة أنه إذا ادعى العبد ما ليس له ـ سلبه الله ما ملك ـ وإذا تحقق بوصف من أوصاف الله خلع الله عليه بركات هذا الوصف .

فكلما نزلت أرضاً أرضاً

سما بك ربك سماء سماء

محمد لبيب البوهى

أثر التصـــــوف

فى تكوين المواطن الصالح

للاستاذ السيد محمد عيد الشافعى

لكى تكون الأمة قوية مهابة حرة رشيدة فلا بد لها من أمرين معا - الأول - تدعيم الناحية الأخلاقية فى عموم أفرادها بحيث يصبح الفرد لبنة صالحة فى بناء أمة وصفها الله جل وعلا بأنها خير أمة - والثانى - التسليح المادى بشتى أنواعه أخذا بقول الله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) . . . وتلكما فى الواقع قوتان متلازمتان لا غنى لكل منهما عن الأخرى بل ربما كان احتياج الأمة إلى التدعيم الخلقى والأخذ بأحكام دين الله أولى ، فبذلك يستجلب نصر الله فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافيـــة والحربية والاقتصادية والسياسية . قال تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) . وليس أدل على ذلك من قول الله عز وجل (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) فلم تكن إذاً كثرة المسلمين فى العدد ولا ما أعدوه سببا إلى النصر فى أحرج مواقفهم بل كانت آفة الإعجاب فيهم بما هم عليه من كثرة وقوة سببا فى خذلانهم حتى ولوا مدبرين .

ولقد قال تعالى مبينا طريق النصر (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما زلتم منصورين على عدوكم ما تمسكتم بسنتى » ويقول أبو بكر الصديق رضوان الله عليه — إنما تنصرون بالمدد لا بالعدد . ويقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

محذرا جيشه من آفة الرذيلة والمعصية إن ذنوب الجيش أفتك به من عدوه .

من هذه النصوص الصريحة يتبين أن ليس هناك نصر إلا من عند الله ونصر الله لا يكون إلا لمن نصره . لذلك كانت العناية بتدعيم الناحية الأخلاقية فى أفراد الأمة الإسلامية أوجب حيث إن ذلك هو السبيل الذى رسمه الله سبحانه وتعالى .

فإذا أهمل الراشدون من الأمة هذه الدعامة الأولى التى يرتكز عليها بناء الأمة ومجدها كان لذلك الإهمال ولا شك عاقبة من أوخم العواقب وهى أن تصبح الأمة هزيلة منحلة متداعية غير متحدة هدفا لكل غاصب كما كان حالنا بالأمس وأخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قيل أو من قلة نحن يومئذ . قال — لا . بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ليذهبن الله من صدور أعدائكم الرعب وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل: وما الوهن يارسول الله؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت »

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين لنا السبب المفضى إلى ذلك الضعف وإلى استهانة الأمم بنا وهو حب الدنيا وكراهية الموت حتى قال فى حديث آخر « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ، وقال الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) فلا يجوز لعاقل رشيد والحالة هذه أن ينتظر تغيير حال الأمة من الضعف إلى القوة ومن الضلالة إلى الرشد ومن ذل الاستعباد إلى الحرية والمجد بغير أن تغير الأمة أولا ما بنفسها وصدق الله العظيم حيث يقول (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فان نحن غيرنا ما بأنفسنا تحقق لنا وعد الله الثابت بقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

لاسبيل إذن إلا أن نعمل على إصلاح القلوب باستئصال داء الرذيلة منها فإنها إن صلحت صلح الأفراد

وصلحت تصرفاتهم فى سائر شئون الحياة منتفعين بنور الهدى القرآنى . وإن فسدت فسدت الأفـــراد وفسدت تصرفاتهم فى سائر شئون الحياة ولم يكن لسطوة القانون فى قلوبهم المعتلة من أثر . وليس من الحكمة أن نذهب بمرضى القلوب إلى أطباء العيون وإنما الواجب يحتم علينا أن نذهب بهم إلى المختصين بمعالجة القلوب والعالمين بأصل الداء .

وإذا كان التصوف الإسلامى علم وعمل وله كأى علم من العلوم حد وموضوع وثمرة . فحده التخلى عن كل خلق مذموم والتحلى بكل خلق محمود وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية وثمرته إصلاح الفرد ظاهرا وباطنا فضلا عما له بعد ذلك من الناحية العملية والإلهية . كان ولا شك أهل الاختصاص فى ذلك العاملون بأصل الداء والعاملون على إصلاح القلوب فى الأمة هم السادة الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين القائمون بتهذيب النفوس والداعون إلى الله بنور الله ومن كان معهم على هديهم . وعلى هؤلاء السادة ومن كان على هديهم تقع المسئولية إن لم يعملوا على تحقيق ذلك جاهدين فإن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا ما آتاها وقد آتاهم الله ذلك العلم واختصهم به، ومن ثم كانت المسئولية واقعة عليهم دون سواهم من الأمة . (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)

وقد يبدو هذا القول غريبا عند من يظن أن التصوف إنما هو رايات ترفع ودفوف تدق وزجاج يؤكل وشطحات ينطق بها المتصوف تقليدا أو من حاله الغالب عليه . فليس هذا هو التصوف . وإنما التصوف هو الخلق والأخذ بالعزيمة فى دين الله تعالى مع الاقبال عليه بكنه الهمة وتجريد القصد إلا منه وله بحيث لا يريد العبد من مولاه غير مولاه . ولا أدل على ذلك مما أثر عن القوم رضى الله عنهم فيقول الإمام محيى الدين ابن عربى قدس سره فى باب التصوف من فتوحاته — التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف وسئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن وأن الله أثنى عليه بما أعطاه من ذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم . ولذا يقول الإمام الجنيد رضى الله عنه — الطريق كلها مسدودة

إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته. وسئل رضى الله عنه ماعلامة الإيمان فقال : علامتـــه طاعة من آمنت به والعمل بما يحبه ويرضاه وترك التشاغل عنه بما ينقضى ويزول . ويقول الإمام الغوث الرفاعى رضى الله عنه ــ يظنون أن الطريقة تنال بالقيل والقـــال أو بكثرة المال. لا والله. ماهى إلا طريقة الذل والانكسار واتباع الكتاب وسنة النبى المختار . ويقول رضى الله عنه : ليست الطريقة تورث عن الأب والجد ولكنها طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذر الدموع على الخد. ويقول الإمام الشعرانى رضى الله عنه ــ التصوف علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة . وما ورد فى ذلك كثير ، لأنه أصل متفق عليه عند القوم رضوان الله عليهم . ولذلك نرى حجة الإسلام الإمام أبا حامد الغزالى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول بعد إذ تبين له حقيقة التصوف وأهله ــ لقد علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق . بل لو اجتمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وبالجملة ماذا يقول القائل فى طريقة أول شرط لها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله .

من هذا الفهم للتصوف نرى أنه قوة إيجابية فعالة فى الدفاع عن كيان الأمة ضد الفلسفات الإلحـــادية والمبادىء الهـــدامة وبالتالى هو قوة إيجابية فعالة فى بناء الأمه والنهوض بها فالصوفى يعمل فى الدنيا لربه متحققا من أنه فى عمله وحرفته عبد يعمل فى ملك سيده . قد يكون عاملا فى مصنعه ولكنه خير عمال هذا المصنع حيث يعمل على إتقان عمله لأنه يؤمن أن الله مجازيه على إتقانه له . وهنا نرى شيئا عجبا .. نرى أن عاملا كهذا ليس فى حاجة إلى

رقيب يحاسبه فهو يعلم أن الله رقيب عليه .. ولذا نرى أنه من الثابت فى صحيح السند أن الرجل فى الصدر الأول كان يقع فى بعض اللمم ولم يره أحد مطلقا من البشر ولكنه يذهب فى ظل عقيدته وإيمانه وخلقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له : لقد فعلت كذا يارسول الله فانظر إلى حكم الله فيما فعلت . أما اليوم فيحتال الفرد ليفعل ما يشاء فى ظل القانون حتى لا يقع تحت طائلته وإن أصاب غيره الضرر فى فعله وما ذلك فى الحقيقة إلا لتدهور الخلق

من ذلك كله ندرك أن التصوف طاقة روحية بناءة وأن علينا أن نعمل جاهدين على استغلال المخزون من هذه الطاقة الروحية فى نفوس أبناء الأمة الإسلامية إن أردنا أن تتعادل القوة الروحية مع القوة المادية فى العالم الإسلامى وذلك بتدعيم الناحية الأخلاقيه فى أفراد الأمة فمن ثم ينشأ المواطن الصالح الذى ينهض بها إلى ذروة المجد والله سبحانه الملهم للرشد .

محمد عيد الشافعى

إنذار من الله

. . . عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىّ النبى صلى الله عليه وسلم فعرفت فى وجهه أنه قد حضره شىء ، فتوضأ وما كلم أحداً ، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول : فقعد على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يا أيها الناس إن الله يقول لكم ، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم ، وتستنصرونى فلا أنصركم .

فما زاد عليهم حتى نزل .

مذكرات واعظ

(صور من الواقع)

للأستاذ محمد الطعمى — واعظ بالأزهر

اهتزت القرية اهتزازاً عنيفاً — ولفها قلق واعتلاها صخب وباتت منطوية على نفسها تسأل الله السلامة من معركة طاحنة منتظرة قد يهلك فيها الصغير والكبير ، وقد يمتد شواظها ويتناثر شررها فتصيب المظلوم قبل الظالم وتأخذ المسىء بعد البرىء ، فقد انقسم أهلها شيعاً وغدوا ينتظرون وقوع الشر بين آونة وأخرى ، وهؤلاء وهؤلاء أعدوا ما استطاعوا من أدواة السفك والتدمير والخراب تأهباً للقتال..

وترجع أسباب الخلاف إلى أمر محزن مضحك حقاً ، أمر تافه استمعوا له وتناقشوا فيه فاحتدم النقاش ، وانتفخت الأوداج واحمرت العيون فأمسوا غاضبين وأصبحوا ساخطين ، ومما زادهم غضباً وسخطاً طغمة من الناس من مصلحتهم ومن شأنهم أن يبذروا العداوات ويجددوا الحزازات لكى يعيشوا على حسابها ويتفرجوا على أتونها ولله فى خلقه شئون .

أسباب الاختلاف يا سيدى القارىء أنهم جلسوا يستمعون موعظة من رجل لا عالم ولا جاهل — بين بين — قرأ لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — « إن الله يحب الصمت عند ثلاث . عند خروج الجنازة ، وقراءة القرآن ، والزحف فى سبيل الله ، وفى شرح الحديث قال لهم ، إن من كبائر الذنوب أن تخرجوا بالجنائز قائلين لا إله إلا الله ولعلكم من اليوم توافقوننى على قطع دابر هذه العادة الخبيثة ، وبذلك تتفادون غضب الجبار عليكم وعلى أمواتكم .. فاعترضه رجل من المستمعين وقال له

— علمك هذا جديد علينا من يومنا واحنا نقولوا لا إله إلا الله ورا الجنائز فسيادتك تحرمها علشان إيه ؟

فابرى له الشيخ قائلا .

أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

أمثالكم ، حقاً إنكم أغبياء - ويجب علىّ من اليوم أن أكتم على عن ذوى الجهل طاقتى ، ياسفهاء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذبونى ، لقدفسد الزمان وتقدم الجاهل على العالم وتطاول الأعمى على البصير فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . .

.. سمع الرجل هذه الشتائم القاسية من فم الشيخ فاعتبرها إهانة تمس الشرف والرجولة والعائلة فاحمر وجهه واصفر ثم قال :

— ياحاضرين .. ياسامعين بذمتكم سمعتم طول عمركم أن لاإله إلاالله وراء الميت حرام إلا من الشيخ « إيدن » السفيه الأحمق .

لم تكد كلمة « إيدن » تصل إلى آذان المستمعين حتى استغرق بعضهم فى ضحك عميق متواصل ، ولم تكد تصل إلى آذان الشيخ حتى ثار وفار وكشر وزمجر وأقسم ألا يجالسهم بعد اليوم وسوف ينتقم لنفسه ويؤدب الهمج ولو اندلعت فتنة حمراء ، وفعلا قام الشيخ لاعناً مغاضباً - وله شيعة اتبعوه لاعنين غاضبين ، وعلى هذا انقسمت القرية الكبيرة جداً إلى معسكرين كبيرين واستعدوا للقتال ، وزاد الطينة بلة أفراد من القرية أشعلوا الفتنة بسرعة وجعلوها مؤكدة الوقوع الأمر الذى دعا السيد مفتش الوعظ إلى انتداب بعثة من الوعاظ لإخماد هذه الحركة الطائشة . .

.. وصلتنى اشارة تليفونية مؤداها احضر لمقابلتنا فى مركز كذا فى يوم الجمعة بتاريخ كذا والحذر من التأخير للأهمية ؟

مفتش الوعظ بمنطقة كذا

وصلت المركز فى الصباح الباكر من يوم الجمعة المحدد فوجدت السيد المفتش على المحطة ، ومعه جماعة من الوعاظ ، وبعد السلام دار الكلام فقص علينا السيد المفتش الحكاية من أولها إلى آخرها ، حكاية هذه الفتنة التى ثارت من أجل تشييع الموتى .

— فقلت له إن من عادة القرويين أن يتخلصوا يوم الجمعة من مشاغلهم لحضور الصلاة وربما أدى هذا التجمهر إلى نتيجة سيئة .

فأجابنى السيد المفتش لا يكون ذلك أبداً ، وأنه سيعقد بنا اجتماعاً خاصاً فى القرية ، ثم قال : الأولى أن نسارع بالذهاب إليها لنغتنم الوقت والفرصة معاً . . وقفت بنا العربات أمام دار العمدة فدخلناها ، وعلى الفور اختلينا

فى حجرة ، ويبدو أن السيد المفتش كان دارساً الموقف بدقة تامة حتى أن مساجد القرية كان يعلم عددها وأماكنها فوزعنا عليها ، وقال : أنا شرحت لكم الموقف تماماً ، وقلت لكم أن هنالك أصابع خفية تحرك هذه الفتنة لحسابها والعصبية رأس الداء فروا المصلين بالاتحاد وانهوهم عن التنازع وبينوا أثر كل منهما بالنسبة للأفراد والجماعات وحاولوا ألا تتكلموا فى هذا الموضوع إلا بقدر . .

قال واعظ للسيد المفتش . لو سئلنا فى نفس الموضوع ماذا نقول ؟؟

— قولوا الذكر أثناء السير بالجنازة وعدمه سيان ، فلو ذكرتم لا إثم عليكم ولو صمتم لا تأثمون ولا تؤجرون . . وأحرصوا فى الإجابة بقدر الإمكان وحاولوا أن تكونوا لبقين موحدين الصفوف ما استطعتم إلى ذلك سبيلا .

خطبت الجمعة وبينت أثر الاتحاد ومضار التنازع . وبعد الصلاة شرحت قول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وفى خلال الشرح سأل سائل ما رأيك فى كلمة لا إله إلا الله ورا الجنايز !

— قلت لا بأس بها خلف الجنايز كما أن تركها لا يضر ، وهذه مسائل يجب ألا تثير فتنة بين المسلمين الذين خلقهم الله لمستقبل أعظم ، والعالم اليوم يفكر فى غزو السماء . فيجب علينا أن ننفض هذه الخلافات وأن نسير قدماً إلى الأمام . . إلى العمل المثمر وأن ننصح ونعظ باللين والحسنى . .

ما رأيك فى الطرق الصوفية ؟

— لا مانع منها وهى توصل إلى سعادة الدنيا والدين ما دامت فى حدود الكتاب والسنة لأنها المنهج القويم للاسلام والمسلمين .

— ما رأيك فى دعاء نصف شعبان؟

— الدعاء مطلوب فى كل زمان ومكان وليلة نصف شعبان من الزمان طبعاً . . هذا ولما وجدت المصلين المزدحمين فى المسجد أسئلتهم خلافية فى حد ذاتها أخذت أزودهم بالنصائح وأنهاهم عن الاختلاف فى كل شىء وضربت لهم أمثالا عديدة تدعو للوئام وقلت لهم إن الاتحاد له أثر طيب فى تنمية الزرع وزيادة الإنتاج عكس التنازع فسكتوا وبان على وجوههم الرضا والقبول ، ثم أمرتهم بالاستغفار فاستغفروا ربهم وخرجوا من المسجد فى صفاء .

... غادرنا القرية بعد أن هدأت العاصفة وسكنت الفتنة وتزاور المتخاصمون ، ولما ذهبوا وذهبنا معهم إلى الشيخ المزعوم « ايدن » عاتب أصحابه الذين أطلقوا عليه هذا اللقب الخبيث ووصفهم بالعقوق ، وقال فيما قال .. كيف أوصف « بايدن » الكافر وأنا من علماء المسلمين ؟! وكيف يطلق عليّ هذا الاسم الملعون وأنا أصلي بهم وأبين لهم الحلال من الحرام كيف ؟؟ .

الحمد لله .. لقد كان لبعثة الوعظ وعلى رأسها السيد المفتش فضل كبير فى إخماد الفتنة وإزالة الجفوة .. نعم بهم حل الصفاء فشكرا للسيد مفتش الوعظ والوعاظ ..

... غادرنا القرية على ما يرام ولكن مازالت هذه الأسئلة وأشباهها تعرض فى الريف وغير الريف ويتولى الأجوبة عنها أنصاف من المتعلمين وجهلاء من الناس فيشوهون الحقيقة ويستغلونها طاقة للعدوان والشنآن فمتى يسمع هؤلاء وهؤلاء قول الله تعالى « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .. »

محمد على الطعمى

مقام الإحسان

روى مسلم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا ، رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال فأخبرنى عن الإحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

الطريق إلى الله

شبهات حول التصوف

للأستاذ السيد محمد الحافظ التيجاني

٢

وأول شبهه اعترض بها المعترضون أن اسم الصوفية لم يكن موجوداً فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم .

وفى زمن الصحابة لم يكن البحث فى عقائد الإسلام ودفع غارة أعداء الإسلام عنها يسمى توحيداً ، ولم يكن قد دونت كتب المد والغن والإخفاء والإشمام مما اصطلح عليه علماء القراءات . كل ذلك مصطلحات لم تعلم فى زمن الصحابة .

ولم يكن تقسيم الأحكام الشرعية إلى حلال وحرام ومندوب ومكروه فى زمن الصحابة أيضاً ، وهذه أمور اصطلاحية حادثة بعدهم . وكان معنى الفقه فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم يشمل أصول الدين وفروعه ، ومنها علم تزكية النفوس وتطهيرها من الأدران والظلمات وعلم مجاهدة النفس والهوى ، وهذه هى التى نسميها (تبعاً لعلماء السلف) صوفية ، فليسمها أصحاب الأهواء ما شاءوا .

بل القرآن المنزل الذى هو الدين كله لم يكن فيه نقط ولا شكل ، فمن ظن أن كل مالم يكن فى عصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعة فقد أبعد وأبعد عن الحق ، والحق أن كل ماله أصل فى الدين فيرجع إلى أصله وإن لم يكن موجوداً بعينه .

إن الصوفية فى كل عصرهم حملة

راية الإسلام فى التوحيد والحديث والفقه والتفسير واللغة وعلم الأخلاق وعلم التهذيب الروحى ، الذى هو روح الإسلام ولبه ، وكتب الطبقات شاهدة بذلك .

وقد سمينا علم التهذيب الروحى (بالصفاء) وسمينا أهله (صوفية) فيترك لك المتعنتون معنى التهذيب الروحى ويمسكون لفظ التصوف هل هو بدعه جاء من الشرق ؟ جاء من الغرب ؟ يا سبحان الله ! ! هذا هو العلم ؟ فأين الجهل إذاً .

والمعيار الحقيقى الذى يوزن به ما عليه الناس هو تصحيح العقيدة من شوائب الشرك حتى تكون ناصعة فى توحيد الله وتنزيهه والجزم بما جاء به خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، والقيام بالفرائض والانتهاء عن المحارم الظاهرة والباطنة وتقويم الأخلاق والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله وفعله فى الفرائض والسنن ظاهراً وباطناً ، ومجاهدة النفس . فإذا كان هذا هو الدين ، فالذين يسمون بالصوفية هم أولى الناس بالدين وأولى الناس بالعلم والعمل والحال رغم أنف الشانئين الذين يفترون عليهم الأكاذيب من حلول واتحاد ووحدة وجود هندوسية أو نصرانية وغير ذلك من العظائم التى رموهم بهـا وهم ولله الحمد أبعد الناس عنها والصريح من كلامهم آية ذلك . وقد صرح الشيخ محيى الدين بعقيدته وهى العقيدة المعروفة عن السلف وذكر القشيرى وغيره اعتقادهم وهو عين ما عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عليه أهل السنة والجماعة .

وقد اتفقت كلمتهم على أن ما خالف الكتاب والسنة فهم منه بريئون ، وقد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف لا يكذب عليهم . والميزان ما قالوه بأنفسهم ، إذا سمعتم عنا شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فهو كذب علينا ونبرأ إلى الله منه .

الشبهة الثانية : أن فى كلام بعضهم ما يفهم البعض منه حلول الله فى عبده أو التجسد أو الاتحاد بين الخالق والمخلوق التى يسمونها وحدة الوجود ، وفيما يذكر أن العارف يرى الله فى كل شىء ، قد فهم قوم — خطأ ، أن ذلك ضربا من الحلول ، ولا خلاف فى أن الحق سبحانه منزه عنه ، فإذا علمنا مقصد العارفين فى قولهم

هذا فقد زال الإبهام .

وفى اللمع وضح الإمام السراج نفى التجسد والحلول صريحاً والإمام القشيرى وكل الصوفية .

وظهور علم العالم فى الكتاب أوضح وأجلى وأثبت من الورق والمداد ، فليس من المعقول أن الورق والمداد كتب الكتاب بلا عالم .

فمصدر العلم عالم لا الورق ولا المداد ، وهذا أمر ضرورى يقينى لا يتطرق إليه احتمال ، وإن شئت فقل ظهور العالم فى الكتاب أظهر من الكتاب .

وظهور الصورة فى المرآة أوضح منه مصدر الصورة ، فإن الصورة إنما ظهرت وقامت بالأصل لا بنفسها ، وهذا أمر يقينى كذلك ، ولا أحسبنى فى حاجة إلى بيان أن الحق سبحانه منزه عن المحسوسات وشبهها ، فليس المراد قطعا ما يمت إلى الصورة الحسية بسبب وإنما المراد المعنى الذى أفاضه الحق فإنه سبحانه السميع البصير الحى العليم وظهرت آيات كماله فى الخلق فجعل منها حيا به ، سميعاً به ، بصيراً به .

فإذا قلنا إن الحق هو الظاهر فى الكائنات وأن ظهوره أوضح من الكائنات ، فهذا حق . لأن العالم الذى كتب الكتاب ما كتبه بنفسه، ولكن الله هو الذى علمه (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) فالواجب الذى له الوجود الذاتى هو سبحانه الظاهر ، إن شئت فقل علمه ظهر ، أو قل ظهرت ذاته بعلمها وقدرتها ، فهو اختلاف فى التعبير والحقيقة واحدة .

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل إلى ذاك الجمال يشير

ودع من يتصور فى كلامهم رضى الله عنهم مالا يخطر ببالهم من التطورات الأرضية ، التى - هى من أشد المحالات استحالة عندهم .

ودوام هذا المشهد أعظم من الذكر باللسان ، فإن صاحب هذا المشهد كله ذكر لأنه فرح بقرب الحق ، بل قل بيوميته بالحق .

الشبهة الثالثة . أن التلميذ يطيع شيخه فيما يأمره ولو كان محرماً . وهذا غير صحيح فإن من اتبع شيخاً ما على أساس أنه إن أمره بالكفر بالله وترك الإسلام أو باستباحة المعاصى اتبعه فى ذلك فهو كافر خارج عن الإسلام هو وشيخه إذا كان يقره على ذلك . ولا

طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

أما إن دخـــل معه على أساس الإسلام بحيث يتبعه لأنه متبع لا مبتدع وأنه لو أمره بشىء من المخالفة يقينا فإنه لا يفعـله ، وإن كان يحسن الظن فيه فيحمل أمره به على زوال عقله .

وما جاء فى آداب التلميذ مع شيخه أن يتيمه فيما يأمره به ويطرح رأيه لرأى شيخه، إنما يصح ذلك فى الأمور التى يجوز أن يكون لها وجه يطابق الشريعة

والمسائل الخلافية التى جرى علماء الشريعة على أجازة الخلاف فيها بشروطه المعروفة فإنه يسع الصوفية فيها ما وسع الأمة .

وافرض جدلا أن إنساناً أحسن الظن فى دعى فى الطريق خفى عليه أمره ، فإن أساس الطريق أنه متى تبين له بالدليل أن ذلك المتبوع فى دائرة التكليف وأنه يستبيح المعصية ، فلا يتردد بالحكم عليه بالكفر والردة، ويبرأ إلى الله منه

وإذاً فالقاعـــدة التى يبنى عليها الاتباع بين أهل الطرق قاطبة هى قواعد الإسلام ، والدين الحق لا سواه . فما زال الكل فى دائرة الإسلام .

الشبهة الرابعة ، زعمهم أن الصوفية شأنهم التوكل وعدم الأخذ بالأسباب

قال الشيخ ابن عطاء الله - إرادتك التجريد مع إقامة الحق لك فى الأسباب من الشهوة الخفية

وإذن فمن الصوفية من أقيموا فى الأسباب .

وإذا كان المقصود التحقق بالصفاء الكامل فى الاعتقاد ، وفى العمل أن يخلو من الرياء والشبهات ، وفى الحال أن يتحقق بالحب والأدب مع الله عز وجل ، فمتى وصل العبد إلى هذه المنزلة فليس عليه جناح أن يزاول الأسباب المشروعة، ومن الممكن أن يجعل السالك له وقتاً خاصاً يتفرغ فيه لعبادة الله ويتجرد من شئون الدنيا ويقبل على الله بكليته مع أخذه بالأسباب من طلب الحلال لنفسه ولمن يعوله فى بقية وقته وفى الحديث القدسى من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وأحب الأعمال إلى الله مادام عليه صاحبه وإن قل ، ومتى أخذ الله بيد عبد فإنه يشغله بحبه وهو قائم بما يحل له من العمـــل بل مراقبته لربه عز وجل تعينه على عمله وأن يتقى الله فيه . فيحسنه ويتقنه . فيكون أميراً يتقى الله ووزيرا يتقى الله وعاملا يتقى الله وحارساً يتقى الله.

ومن السادة الصوفية من كان خرازاً ومن كان تاجراً وما أمر الشيخ الخواص

يخفى على من قرأ تاريخ القوم والصوفى يصح أن يكون غنيا ، ولكن غناه بالله وليس فيهم كناز ولا بخيل .

وأما الجهاد فى سبيل الله فقد استشهد شقيق البلخى فى غزاة كولان من بلاد الترك سنة ١٩٤ هجرية وذكر ذلك ابن الأثير فى الكامل صحيفة ١٤٢ الجزء الخامس - وهو شيخ حاتم الأصم، سافر مرة وفى صحبته ثلاثمائة مريد ، وكان شيخ خراسان ، وذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية خروج أحمد بن أبى الحوارى للرباط — جزء ١٠ صحيفة ٣٤٨ ، وغيرهما كثير فى كتب التاريخ ، وأما المتأخرون ، فقد ذكر الأمير شكيب فى حاضر العالم الاسلامى جهاد السيادة الصوفية ونشرهم الإسلام فى أفريقيا ومنهم الحاج عمر ابن سعيد الفوتى والشيخ عثمان بن فودى السلطان المجاهد، وأخوه الأمير عبدالله ابن فودى، والشيخ السنوسى فى افريقيا وغيرها وكان سبباً فى خلاص المسلمين من الاحتلال الاستعمارى فى تركيا . وكذلك الشيخ عز الدين القسام وتلاميذه فى فلسطين .

ولولا تضافر الطرق الصوفية ومناهضهم للانكليز فى السودان لكان السودان الآن جزءا من الكومنولث الانكليزى

كل ذلك يعملونه لا لدنيا ولا لمنصب ولا للوصول إلى الحكم ؟

البحث مستمر

إلى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله السيد محمد الحنفى الجندى عضو النواب السابق وعم فضيلة الأستاذ حسين الدسوقى الجندى عضو مجلس الأمة السابق.

وأسرة المجلة تشارك فضيلته مصابه الأليم وتسأل الله للفقيد الرحمة وحسن المآب .

الظاهرة القرآنية

تأليف الأستاذ مالك بن نبي

عرض وتحليل الأستاذ سعيد حمزة مكرم المحامي

فى مدخل هذه الدراسة يحدد المؤلف — شأن الباحث العلمى الجاد — موضوع دراسته بأنه (المشكلة القرآنية) وهو فى دراسته لهذه المشكلة الخطيرة لا ينساق وراء عواطفه كمؤمن بدين ، وإنما هو يقصد مخلصاً إلى تحقيق منهج تحليلى فى دراسة الظاهرة القرآنية ؛ لأن مثل هذا المنهج يحقق من الناحية العملية هدفاً مزدوجاً هو « أن يتيح للشبيبة الإسلامية فرصة التأمل الناضج فى الدين وأنه يوحى إصلاحاً مناسباً لمنهج التفسير القديم للقرآن » يدعوه إلى انتهاج هذا المنهج — مع ما يفرضه من يقظة واحتشاد — ذلك الواقع المؤسف للحياة العقلية الإسلامية فى هذه الأيام : « فهى تمر بمرحلة خطيرة إذ تتلقى النهضة الإسلامية كل أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية » ، ليس فى شئون الحياة العملية فحسب بل فى المجالات الروحية والفكرية حتى العقائدية حيث ترجى الاصالة والخصوصية والإيجابية .

فعند المستشرقين العلم كل العلم !! والمناهج أقوم المناهج !! وهم وحدهم الأساتذة الكبار !! أما الثقافة الإسلامية فهى عند الشبيبة المثقفة نبع غاض معينه أو كاد ، وأما رواد هذه الثقافة فهم قوم لم يدركوا المنهج الديكارتى وإذن فلا سبيل إلى الاطمئنان إلى دراساتهم !!

وعلى ضوء هذا المنطق العجيب يمضى « المثقفون » !! وبأيديهم معاول مخربة من صنع أساتذتهم المستشرقين يشوهون بها وجه الثقافة الإسلامية حتى تبدو ظواهر متخلفة لا تراثاً جليلا حياً فى رصيد الفكر البشرى . وهذا هو الهدف الكبير المنشود للسادة جهابذة الاستشراق !!

ويمضى المؤلف فى استعراض الأزمة الفكرية والروحية التى أثارها فرض المستشرق « مارجليوت » وقت

أن كان يدعو إليه جامعيون كبار فى مصر ثم يعرج على مدى انعكاس هذه الأزمة على موضوع هذا الكتاب .

ففرض «مارجليوت» كما يقول (أراد أن يفرض على المشكلة « مشكلة تفسير القرآن » مسلكا ثورياً حين أدخل فى الوقت المناسب ما يشبه « الديناميت » الذى قد ينسف كل مناهج التفسير القديم) ، (ذلك التفسير القائم على المقارنة الأسلوبية معتمداً على الشعر الجاهلى كحقيقة لا تقبل الجدل) .

ومع ذلك فالمؤلف لا يلهث وراء عواطفه فهو لا ينكر أن هذا الأساس فى حاجة إلى إعادة النظر وبخاصة بالنسبة للمسلم غير العربى فهو يجاهر بأنه (منذ وقت طويل أيضاً تكتنفى عقائدنا فى هذا الباب بالتقليد الذى لا يتفق مع عقول المتعلقين بالموضوعية) .

وينظر من حوله إلى جهود المحدثين من المفسرين فلا يرى فيها — مع تقديره لقيمتها الكبيرة — منهجاً محدداً ونظرية متكاملة تحيط بقضية التفسير فجهودهم لا تعدو أن تكون صبغاً للتفسير القديم بصبغة عقلية جديدة ، « ومع ذلك فمشكلة التفسير تظل خطيرة بالنسبة لاعتقاد الفرد الذى شكلته مدرسة ديكارت من جهة وبالنسبة لمجموع الأفكار الدارجة التى هى أساس الثقافة الشعبية من جهة أخرى » .

ولعل من الواضح أن قضية الاقتناع العقلى للتعلم أزاء مشكلة التفسير ترتبط جزئياً بنظرية الظاهرة القرآنية .

ومن هنا كان لابد أن يتجه المؤلف إلى (أن يربط ظاهرة الإسلام فى خصوصها بالظاهرة الدينية فى عمومها) ثم يأخذ فى دراسة القرآن كظاهرة موضوعية قابلة للبحث العلمى المحايد لعل هذه الدراسة تنتهى بالباحث عن الحقيقة إلى الإيمان بأن الإسلام دين موحى به من عند الله . على أن يكون الوصول إلى هذه الغاية من خلال بحثه لشخص الرسول عليه السلام كشاهد حى على طبيعة رسالته .

وقبل أن يعرض بالبحث والدراسة لهذه الشخصية وهذه الرسالة التى نزل بها القرآن يأخذ فى دراسة الفكرة الدينية « كظاهرة » صاحبت الفكر البشرى منذ طفولته . وفى فصل « الظاهرة الدينية » يتابع المؤلف إخلاص العقل الإنسانى لهذه الفكرة واحتفاله الدائم بفلسفتها كلما ألحت عليه (المشكلة الغيبية) حتى أن علماء الاجتماع ليصفون الإنسان بأنه « حيوان دينى » .

ولكن هل الظاهرة الدينية مجرد « فقاعة » لا تكاد تطفو على سطح العقل البشرى حتى تذهب بدداً . . أم هى طبيعة أصيله فى ضمير الإنسانية؟،

وفى هذا المجال تتصارع نظريتان أولاهما غيبية والثانية مادية وإذن فماهو السبيل إلى حسم الموقف بحيث لا يكون ثمة تناقض بين الدين والعلم .

ويقرر المؤلف أنه لا تناقض بين الدين والعلم فى شأن هذه الظاهرة ، فالعلم لم يبرهن على عدم وجود الله أو وجوده — كما نسلم بذلك مبدئياً والنزاع هنا بين دينين : بين الألوهية والمادية ، بين الدين الذى يسلم بوجود الله وذلك الذى « افترض » المادة) .

وقد كان هدف هذا الفصل هو المقارنة المنطقية المحايدة بين هذين المذهبين الفلسفيين على ضوء عناصرهما المتجانسة التى تكمن فى فكرتهما عن الكون .

ويمضى المؤلف فى مناقشة المذهب المادى مناقشة علمية منطقية تنتهى بإثبات عجزه فمثلا هو عاجز عن تفسير الحتمية البيولجية وهو أيضاً لا يقدم تسوية مقبولا للازدواج النوعى لدى الإنسان إلى آخر نقاط الضعف فى كيانه ونتائجه .

وواضح أن المذهب المادى يقوم على « افتراض » مبدئى هو أن المادة هى العلة الأولى لذاتها .. هى موجودة وهى فى ذات الوقت موجدة نفسها .. هى نقطة البدء من حيث النشأة الأولى والتطور الأزلى ومن هذه النقطة يبدأ الماديون رحلتهم الطويلة مع تطور المادة مع ملاحظة أن المؤثر الوحيد الدائم طوال هذه الرحلة هو خاصة « الكم » ويأخذ المؤلف فى مناقشة هذا النظر مع مايستتبعه من وحدانية المؤثر وبين ما أثبته العلم الحديث فى نطاق التركيب الذرى ومايستتبعه هو الآخر من حالات وظواهر تناقض تسلسل النظر الأول .

ولعل هذا الفصل هو أكثر فصول الكتاب حاجة إلى كثير من التركيز الذهنى لمتابعة المعادلات والبراهين العلمية التى تتضافر كلها فى النهاية مع منطق المؤلف على كشف النقاب عن تهافت المذهب المادى .

ثم ينتقل المؤلف إلى بحث « المذهب الغيبى » بنفس الروح العلمى المحايد فلا يتردد فى أن يستهل بحثه بأن هذا المذهب يقوم هو الآخر على « افتراض » مبدأ متميز عن المادة هو الله وهو الخالق والمدبر والسبب الأول الذى يقول للشىء كن فيكون . فالمادة فى

منطلق هذا النظر مخلوقة وليست خالقة حديثة وليست قديمة — كما يقول علماء التوحيد — ثم يكون تطور هذه المادة « طبقا لأوامر إرادة توزع التوازن والاتساق اللذين قد يلاحظ علم البشر قوانينهما الثابتة ».

والمؤلف لايحاول الفرار مما قد يبدو لبعضهم مواطن ضعف فى المذهب الغيبي فهو يقول « ولكن بعض مراحل هـــذا التطور ستخفى على الملاحظات المألوفة لرجال العلم دون أن ينطوى المذهب من أجل هذا على نقص ما .فى هذه الحالات الاستثنائية نستعين بالحتمية الغيبية التى لا تعارض بينها وبين طبيعة المبدأ » ثم ينتهى المؤلف إلى أن ثمة حتمية مطلقة هى إرادة الله « يؤمن » بها المذهب الغيبي يقابلها حتمية الصدفة يفترضها هناك المذهب المادى .. وشتان بين حتمية حكيمة هادفة وأخرى عفوية غامضة .

ثم لاينسى فى ختام هذا الفصل أن يكرر ويؤكد أن الأمر لايتعلق هنا بالمقارنة بين نوعين من العلم بل عقيدتين ؛ عقيدة تؤله المادة وأخرى تؤمن بالله .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى بحث « الحركة النبوية » فيحمل على فكرة الانكشاف الباطنى التى ينادى بها « شيريه » فى كتابه كبار الواصلين ويأخذ من ظاهرة تتابع ديانات التوحيد دليلا يمكن دراسته لإدراك طبيعة النبوة « وجميع المظاهر الأدبية والروحية التى تصحبها ».

ثم يناقش « مبدأ النبوة » من خلال شاهده الوحيد الوثيق « النبى » « وفى محتويات رســـالته المتواترة المنزلة ».

والمشكلة عندئذ تقوم على هذا التساؤل .. هل الوحى صدى لعمليات نفسية ذاتية محضة أم هو ظاهرة موضوعية محسوسة مستقلة عن ذات النبى .

ويأخذ المؤلف فى كشف جوانب القضية من ناحيتها النفسية والتاريخية فيلاحظ أن بعث نبي ليس ظاهرة فردية بل ظاهرة مستمرة فى نطاق زمنى ذى بدء ونهـــاية ، فإن دل استمرارها وتواترها بنفس الكيفية على شىء فإنما يدل على قيامها كشاهد علمى يمكن الاستناد اليه فى تقرير مبدأ « وجود النبوة » ولعل منهج هيجل العلمى يسعفنا فى هذا المجال ، ويقف بالمرصاد للمحاولات المرتجلة المتهافة على التسليم مقدما باعتبار النبوة ظاهرة

نفسية عرضية أو مرضية !! وهذا تاريخ الأنبياء يؤكد أنهم كانوا نماذج إنسانية بلغت قمة الكمالات البدنية والخلقية والعقلية .

ثم يكشف عن الخلط الساذج الذى يتخبط فى ظلماته الباحثون فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد بحيث لايدركون الفارق الواضح بين النبوات الصادقة والرجم بالغيب ، والأنبياء و مدعى النبوة (ولقد تجلى هذا الخلط فى التعميمات المفرطة فى الدراسات الحالية للظاهرة النبوية) فبعد أن يفترض النقد الحديث متعسفا أن النبوة (ظاهرة ذاتية) يحاول دراستها من خلال نموذج غريب عنها هو « العراف » الذى يدور فى فلكه الذاتى ، بعكس « النبى » الذى (يرى ويسمع موضوعه خارج مجاله الشخصى)

ويأخذ المؤلف فى دراسة ظاهرة النبوة من خلال النبى « أرمياء » على ضوء النظرية الموضوعية عن الحركة النبوية فيكشف عن ذلك القهر الذى يأخذ بمجامع نفس النبى وهو قهر مطلق دائم يحدد له سلوكه النهائى الذى يشكل جوهر حياته .. وثمة قهر آخر بسيط على ذات النبى هو موقفه من أحداث عصره التى تخالف موقف معاصريه حتى ليبدو موقفه ذاك خروجا على التفكير السليم ، ومصدر هذا الموقف ليس على الإطلاق نظرة عميقة خاصة بالنبى دون سائر الناس كما يقول النقد الحديث بل موقف تمليه عليه إرادة قاهرة فى صورة وحى

وقد رأى المؤلف أن يلم فى سرعة وذكاء بمصادر الإسلام باعتبارها الأصول المدونة أو التاريخية وخاصة ونحن بصدد دراسة نقدية للإسلام وبعد أن يستعرض مسألة تدوين القرآن بما تعكسه من لفتات يكبرها التاريخ ويزكيها الطابع العلمى يلقى أضواءه على موقف علماء المسلمين من الحديث باعتباره المصدر الثانى للاسلام وينتهى إلى أن القرآن باعتباره (وثيقة تاريخية مطلقة الصحة) والحديث (مع الاصطلاحات المتواضع عليها بين علماء الحديث) يعتبران منبعين يتدفقان بالحقائق التى يطمأن إليها فى بحث الظاهرة القرآنية

وتحت عنوان « الرسول » عقد فصلا خاصا لدراسة الذات المحمدية وهو يصطنع فى بحثه هذا مقياسين أولهما يتعلق بشخص النبى نفسه ويرجع ثانيهما الينا ، وذلك ليتسنى له الكشف

عن طبيعة لارتباط بين الذات المحمدية وبين الظاهرة القرآنية وفى سبيل هذه الغاية يتتبع المؤلف كثيرا من التفاصيل الى تعطى الصورة الواضحة للنبى عليه السلام فى أدوار حياته ؛ فقد كان عليه السلام قبل بعثته مجرد حنيفى بسيط يقسم وقته — حسب كلامه هو — بين التأمل فى عبادة الله والتأمل فى جميل صنعه بل أن موقف الذات المحمدية لم يكن عند ظهور الوحى لأول مرة والمرة الثانية مطبوعا بأمل القيام بدعوة ما بل كان كل همه أن يلتمس فضل الله الذى استشعره منذ الوحى الأول وهو ما يؤكد فى نظر المؤلف بصورة قاطعة استقلال الظاهرة القرآنية عن ذات النبى وأنما هو بتكليف توحى به قوة غالبه على قوى نفسه .

ويمضى المؤلف فى عرض سريع ولكنه دقيق لمواقف نفسية يعكسها الواقع التاريخى للنبى فى المرحلة المدنية وعلى طول هذه الرحلة منذ ولادته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى استطاع المؤلف بخطوطه البارعة المعبرة أن يجلو صورة النبى النفسية ، وحين تطالعنا هذه الصورة الجليلة المشرقة لهذا الإنسان العظيم لا يسعنا إلا أن نحترم شهادته على نفسه فى أفعاله وفى أقواله على السواء وهذا هو أحد مقياسى المؤلف فى بحثه للظاهرة القرآنية .

وبعد فلو أردت أن أتتبع فصول هذا البحث القيم عارضا ومحللا — ولو فى إيجاز — لاستنزق ذلك من المجلة صفحات هى من حق أساتذتنا الكتاب وأرجو أن تكون هذه العجالة داعية إلى قراءة كتاب الظاهرة القرآنية الذى يرجو له مؤلفه الجليل أن يفتح باب المناقشة الدينية على مصراعيه بصورة موضوعية تعين المتعلم المسلم على أن يبنى بنفسه الأساس الضروى لإيمانه .

وإذا كان الأستاذ مالك بن نبى قد أطلق فى الأفق الغربى بالأصل الفرنسى لهذا البحث قبسا يهدى إلى الرشد كل من التقى به على صفاء وحيده وإنصاف .

فإن الأستاذ عبد الصبور شاهين قد نهض بدوره بأمانته الجليلة فجاءت ترجمته مشرقة دقيقة واضحة وإنها لثقيلة إلا على الذين يملكون ناصيتى اللغتين الفرنسية والعربية .

ولقد أضاف بصنيعه هذا إلى المكتبة العربية الإسلامية كتابا كان ينبغى أن يحتل منها مكانه المرموق .

بين الايمان والالحاد

للأستاذ محمد رشاد عطية

الشباب هو أمل الأمة الباسم ، بساعده القوية تبنى وتزدهر ، خاصة وإذا كان مزودا بالإيمان متمثلا فى نهجه المثل العليا ، والأهداف القويمة

ولا عجب أن تولى الدول الناهضه جل اهتمامها ، وتجند كافة أجهزتها وخبراتها فى تربية الشباب وصقله ، فالأمة دائما . بخير ما دام شبابها كذلك .

ولكن فى هذه الأيام نلاحظ ظاهرة وهى استخفافهم بالدين ، وهذا لسبب بسيط جدا وهو أنهم حائرون متشككون ، صرعى القراءات السطحية ، وضحايا المذاهب المادية المعاصرة ،

وهذه الظاهرة لا أقول إنها خطيرة فحسب ، ولكنها تدعونا إلى الاهتمام بها ، والعمل على علاجها ، فهى مرحلة لابد منها فى عمر الشباب لا تلبث أن تزول .

وقد لمستها عن كثب فى صديق لى ،

قال لى : هل هناك إله حقا ؟

قلت : نعم فالإيمان بوجود الله مسألة فطرية فى كل نفس وفى كل قلب

فقال : ما دليلك ؟

قلت له : الأدلة كثيرة وفى منتهى البساطه ، أنظر فى نفسك أنت ، كنت نطفةً ، ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما ودما ، وكنت طفلا ثم شابا وستصير كهلا فشيخا ، فهل أنت الذى أحدثت فى نفسك هذه الأطوار؟ ، بديهى أنك عاجز عن هذا ، وكما أنه لكل مصنوع صانع ، فبالتسلسل يتبين لك أن هناك إله مدبر لهذا الكون .

والقرآن دعاك لتتدبر آياته ،

لكى يكون ذلك سبيلك إلى الإيمان (أفلا يتدبرون القرآن ! ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) .

وقد قال عز وجل (وإلهكم إلهٌ واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض ، بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

وكتاب الله يحترمك كإنسان عاقل مفكر ، فدائما آياته ممزوجة بقوله : إن فى ذلك : لآيات لقوم يعقلون ، يتفكرون ، يتذكرون ، يفقهون ، يعلمون .

وقد صور القرآن الكريم فى أبدع تصوير تدرج العقل البشرى فى البحث عن الله فى قصة إبراهيم :

وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت ، قال ياقوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) .

فقال الصديق : ما دام الله موجودا فلماذا لا نراه ولا نكلمه؟ .

قلت له : إن هذه حجة ساقطة لا يقبلها العقل ، الذى يرتاد فى كل يوم مجاهل جديدة لم يسبق له ارتيادها من قبل ، إننا نعلق الآمال الآن على غزو الفضاء ، مع أنه خارج عن نطاق الحواس وإننا مسلمون بوجود الأثر ونراه ، وبالطبع أنت تؤمن بعملية التفكير ، فهل هى فى الكلمات المنطوقة أو المسموعة ؟ ، قطعا لا ، هى شىء غير هذا وذاك ، ولا تستطيع أن تراه ولا أن تعرف كنهه .

واستمرت المجادلات بينى وبين الصديق ، وافترقنا بلا اتفاق ، أنا مؤمن وهو منكر .

والحقيقة أن السبب الجوهرى

للتيار الإلحادى الذى ينساق فيه شبابنا هو أنه لا يمعن التفكير ، يرسل الكلام بلا رويه ، وبدون سند أو دليل ، علاوة على ضآله ثقافته ؛ بل انعدامها فى كثير من الأحيان ، فلو كانت عنده ثقافة دينية عميقة أصيلة ، تدبر فيها كتاب الله ، وتفهم مراميه ، واطلع على المراحل الفكرية التى سارت فيها البشرية فى هذا السبيل وأتاح لنفسه فرصه قراءة أمهات الكتب الإسلامية لما اندفع وراء الدعوات التى تنكر وجود الخالق .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره) .

من أدب التوجيه الصوفى :

الدعاء . . . والإجابة

قيل لإبراهيم بن أدهم ، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ، وقد قال الله تعالى : « ادعونى استجب لكم »

فقال : لأن قلوبكم ميتة !! قيل : ماالذى أماتها ؟ قال : عشر خصال ،

عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركتم سنته ، وقلتم نخشى الموت ، ولم تستعدوا له ، وقد قال تعالى ، « إن الشيطان لكم عدو » فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأحرقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكره ، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ، وإذا قمتم من فُرشكم ، رميتم عيوبكم وراء ظهوركم ، وافترشتم عيوب الناس أمامكم ، فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم . ؟

ابن الفـــــارض ...
والفلسفة وأفلاطون ...

للأستاذ الدوار الجواهرجى

كثيرا ما يتساءل قراء ابن الفارض ممن يجهلون الفلسفة عن معانى شعره ويشكون من صعوبته وغموضه. ولكن هذه المعانى واضحة وظاهرة كالشمس للعارفين بالفلسفة الذين لهم دراية كافية بالمسائل والمشاكل الفلسفية التى يعالجها شعر ابن الفارض

فالنقط الفلسفية التى ينشدها ابن الفارض فى شعره تنتمى جميعها إلى فلسفة افلاطون وأهمها : الجمال والكمال والخير والحقيقة فى العلم والظواهر والجوهر أى الذات أى العين والصور والفكر السابق لوجود الكائن والتذكار ومعرفة الله الحق والحاجز والشهود.

أما شرح جميع هذه النقط الفلسفية والإتيان بشواهدها الشعرية من ديوان ابن الفارض فهذا أمر يتعسر تنفيذه فى مثل هذا المقال المحدود. ويثبت ذلك ماروواه ولد الشاعر ابن الفارض حين قال : « حضر فى مجلس الشيخ رجل من أكابر علماء زمانه واستأذنه فى شرح قصيدته نظم السلوك. فقال له فى كم مجلد تشرحها. فقال فى مجلدين فتبسم الشيخ وقال : لو شئت لشرحت كل بيت منها فى مجلدين ».

لذلك سأكتفى بالكلام هنا عن النقطتين الفلسفيتين اللتين تعتبران عماد ديوان ابن الفارض وركيزته مستعينا بأقل ما يمكن من عدد الأبيات الشعرية لأنها عديدة جدا بخصوص هاتين النقطتين وهما :

أولا : — ابكار المعارف.

ثانيا : — عالم التذكار.

فقد جاء فى الديوان : (الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا) — وفى هذه الأبيات يذكر ابن الفارض ابكار المعارف :

فذر لى ما قبل الظهور عرفته خصوصا وبى لم تدر فى الذر رفقتى
فأصغر أتباعى على عين قلبه عرائس أبكار المعارف زفت
جنى ثمر العرفان من فرع فطنة زكا باتباعى وهو من أصل فطرتى

وجاء أيضا فى ديوانه : (ابن الفارض يتكلم هنا)

منحت ولاها يوم لا يوم قبل أن بدت عند أخذ العهد فى أوليتى
فنلت ولاها لا بسمع وناظر ولا باكتساب واجتلاب جبلة

بالبيت الثانى يهيء ابن الفارض التعقيب بالتذكار ، لأنه حقا وفعلا أن ابكار المعارف أى المعارف الأولى والأولية أى أفكارنا عما بعد الطبيعة ولو أن العقل يدركها إلا أن الاختبار البشرى لم يتمكن من تفسيرها بالتجارب . فمثلا :

١ — لا يمكن تكوين فكرة المطلق من مجرد إضافة المنسوب إلى المنسوب ، لأن المنسوب زائد المنسوب بل بمجموع المنسوبات لا يساوى المطلق .

٢ — لا يمكن تكوين فكرة اللانهاية من مجرد إضافة المحدود إلى المحدود ، لأن المحدود زائد المحدود بل بمجموع المحدودات لا يساوى اللانهاية .

وهكذا لبقية أفكارنا عما بعد الطبيعة وهى ابكار معارفنا . فمن أين لنا بها ؟ وكيف أدركناها ؟ إن التفسير الوحيد لها أن الروح تدركها الآن لأنها عرفتها وملكتها من سابق وجودها مع الحق ، وتلك هى فلسفة التذكار لأفلاطون وهى تتفق مع الآية : « إنا لله ... وإنا إليه راجعون » .

ومضى ابن الفارض يغنى وينشد بهذا الولاء الأسبق وهو أصل ومصدر ومنبع ابكار المعارف قائلا :

وهمت بها فى عالم الأمر حيث لا ظهور وكانت نشوتى قبل نشأتى

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
وعندى منها نشوة قبل نشأتى معى أبدا تبقى وإن بلى العظم

ويقسم بهذا الولاء فيقول :

ومحكم عهد لم يخامره بيننا تخيل نسخ وهو خير ألية

وأخذك ميثاق الولا حيث لم أبن ... بمظهر لبس النفس فى فىء طيتى
وسابق عهد لم يحل مذ عهدته ... ولا حق عقد جل عن حل فترة

وفى تعقيبه يؤيد ويبايع ويناصر التذكار الأفلاطونى فيقول :

وما ذاك إلا أن نفسى تذكرت ... حقيقتها من نفسها حين أوحت
وينسيه مر الخطب حلو خطابه ... ويذكره نجوى عهود قديمة
إذا هام شوقا بالمناغى وهم أن ... يطير إلى أوطانه الأولية
وفى عالم التذكار للنفس علها أل ... مقدم تستهديه منى فتيتى

لم يحل للعين شىء بعد بعدهم ... والقلب مذ آنس التذكار ما أنسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة ... لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

ولما كانت فلسفة أفلاطون روحانية لا مادية تنادى بوجود الله والروح ، فقد اتفقت ، فى هذه الناحية ، مع الدين المسيحى والدين الإسلامى .

فلا حرج إذن ولا خطأ أن يقال — وهو الواقع من تحليل الديوان — إن بطل التصوف ابن الفارض قد ذكر فى شعره — وهو ولا ريب شعر فلسفى — جميع المسائل الواردة فى فلسفة أفلاطون . ولكنه تفوق على أفلاطون فى علاجها بقدر ما يتفوق الشعر على النثر بموسيقاه وسحره .

من هدى الرسول . .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

أقبل علينا رسول الله فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تدركوهن .

إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا .

ولم ينتقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم مامطروا

وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدد من غيرهم فأخذوا ما فى أيديهم .

وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ، وتجروا فيما أنزل الله ، إلا جعل بأسهم بينهم .

(ندوة الإسلام والتصوف)

بقية المنشور على صفحة ٣٤

بارزته لإعلاء كلمات الله فلما أردت القضاء عليه بصق فى وجهى فتملكنى الغضب فخشيت أن يكون الانتقام لنفسى ولذلك تركته » . وأمثال ذلك كثير فى حياة الصحابة .

وهذه الصور كلها يعمل بها المؤمنون حقا فى حياتهم الدنيوية وقد ورد فى الأثر الكثير من ذلك مما ينسب إلى الطائفة الصوفية من حيث مخالفة النفس ونهيها عن الهوى ، فإن منهجهم قوله سبحانه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » .

فمن لم يكن منهم على هذا اللون من الإحساس والشعور فإنه دخيل عليهم :

الأستاذ عبد الرحمن العطار :

قبل أن أتحدث فى الموضوع : مدرسة الرسول والتربية الروحية : نرى لزاما علينا أن نحدد مركز الحياة الروحية من الإسلام وهل هى منفصلة عنه حتى نربطها به من جديد أو نربط حياة الناس بها من جديد .

أعتقد أن الحياة الروحية هى الجزء الأهم فى الإسلام فهى منه بمنزلة الروح من الجسد .

ولهذا يضع الدين الخشوع فى الصلاة مثلا موضعا هاما بحيث لا تقبل صلاة دون خشوع .

وكل العبادات والمعاملات الإسلامية مبناها على الإخلاص والنية وذلك شىء يتعلق بالروح إن لم يكن هو الروح .

لهذا لا أجد فاصلا بين الإسلام كأوامر ونواهى وعبادات ومعاملات وبين الروح الذى يرتكز عليه الإسلام .

ولهذا تحنث الرسول قبل بعثته عليه السلام وقتاً طويلا حتى صفت روحه ، وخلصت نفسه لله ، وأصبحت مهيأة لتلقى أوامر الله سبحانه وتعالى .

وكذلك خلصت روح أصحابه أيضا وفنيت هى الأخرى فى الله ، فكل أعمالهم وحركاتهم ، وسكناتهم إنما كانت منبعثه من قلوب مؤمنة نقية خالصة لله وفى الله .

هذا هو الإسلام روحا قبل أن أن يكون عملا وقبل أن يكون عبادات ومعاملات .

والذى أود أن أقوله : إن علينا أن نربط بين حياة الناس الآن وبين الروح الإسلامى . وهل المسلمون اليوم يصدرون فى أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ومجتمعاتهم عن روح إسلامى خالص ؟ أم أن بينهم وبين الإسلام شأوا بعيداً .

أنا أرى أن المسلمين اليوم يتشحون بالإسلام ويشتقون أسماءهم من اسمه ، ولكن الإسلام وإن التحفوه ظاهراً لم يتبطن قلوبهم .

سماحة السيد محمد محمود علوان :

الفكرة الإسلامية وإن اهتزت فى أفهام بعض الناس ، وإن تلونت فى قلوب آخرين ، إلا أنها بحمد الله لا تزال القوة الدافعة المهيمنة على حياة العالم الإسلامى ، وإنما ينقص الأمة الإسلامية ، التوجيه الواعى ، والإرشـــاد الفاقه ، وفى الجماهير الإسلامية استجابة فطرية لعقائدها ، وإجلال لمبادئها ، وتقديس لإيمانها ، فمن الإسراف فى القول أن نجردهم أو نجرد قلوبهم من الإيمان والاستجابة

الأستاذ عبد الرحمن العطار :

لاخلاف بينى وبين سماحة الأستاذ الشيخ محمد علوان ، وأنا معه فى أن حاجة الناس اليوم شديدة إلى إحياء الروح الإسلامى فى نفوسهم .

ونحن إذا رجعنا إلى الماضى البعيد للمسلمين فإننا نرى أن كثيراً من آبائنا وأجدادنا المسلمين لحظوا هذه الناحية فاتجهوا بالمسلمين اتجاهاً عملياً ليخلقوا فيهم القدوة وليجعلوا الإسلام فى قلوبهم وفى أعمالهم روحاً وعملا وهؤلاء الناس هم طائفة الصوفية الذين هدى الله قلوبهم إلى الإسلام ففهموا منه روحه ، قبل أن يفهموا منه ظاهره .

فساروا بالمسلمين سيراً إسلامياً عملياً وعندى أن الإسلام لم ينتشر فى العالم إلا عن طريق القدوة الصالحة لا عن طريق المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة .

لهذا أرى أن العالم اليوم فى هذا العصر المادى الصاخب الذى لم يعد يفكر إلا بعقله المادى .

أرى أنه أصبح فى خطر داهم إن لم يلووا عنقه إلى الناحية الروحية فتتجلى فيه المعانى الروحية العالية الكريمة .

فلو أخذنا مثـــلا الرسول عليه

السلام كقدوة صالحة حسنة فى معاملاته لأزواجه واتبع الرجال هذه المعاملة مثلا مع زوجاتهم لاستقامت أمورهم ، وصلحت حالهم ولا نعود بعد ذلك نسمع عن هذا التحلل الذى يقوض دعائم الأسرة ، ولا يقيمها على أساس سليم .

وهكذا كل نواحى المجتمع ، نحن بحاجة ماسة إلى أن نتأسى بها بخلق رسول الله وخلق أصحابه من بعده . وإن فقد الناس هذه القدوة الحسنة فإنهم يفقدون الإسلام وإن ظنوا أنهم مسلمون .

نخلص من هذا إلى أن المجتمع المسلم فى كل بلد إسلامى بحاجة ماسة إلى أن يسير وراء هؤلاء الناس الذين صفت قلوبهم لله ، وفنوا فى سبيله حتى يستقيم أمر المجتمع ويصلح حاله ، صدق الله العظيم — لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

الشيخ ماهر اسماعيل :

ماذا قصدت من هذا الاقتراح «مدرسة الرسول والتربية الروحية» لكل مدرسة ثمرتها ، فالحياة الروحية هى ثمرة المدرسة المحمدية ، هذه المدرسة هى الجانب العملى مما جاء به رسول الله من عند الله والحياة الروحية هى الآثار لهذه المدرسة وهى التى نهضت بأصحاب رسول الله حتى كان ما كان منهم .

مثل ذلك : ما الفرق بين مدرسة المسلمين اليوم ومدرسة الرسول ، نقارن بين المدرستين لنعلم لماذا لم يتخرج من مدرسة الإسلام اليوم ، مثل ما كان يتخرج من مدرسة الرسول والله يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » بآثاره وعلمائه؟ التابع المحمدى فى مدرسة الرسول كان جامعاً بين الصلتين صلة العبد بربه ، وصلة العبد بالمجتمع حوله عملا بقوله : تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » .

فالرسول عليه السلام كان يجمع أصحابه فى مدرسته بالله ، ويجمعهم فيما بينهم .

فالصحابى مثلا حين يقف يصلى أو يتعبد بعبارة أخرى ، كان يعمل على نهج الرسول من حيث الظاهر والباطن ، اقتداء به وعملا بقوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهناك

حديث عن رسول الله عليه السلام الذى رواه عمر رضى الله عنه حين جاءه جبريل بقوله : « أخبرنى عن الإسلام فقال الرسول ما قال :

ثم قال أخبرنى عن الإيمان فقال الرسول ما قال : ثم قال أخبرنى عن الإحسان . فقال الرسول ما قال :

ثم سأله عن الساعة فقال الرسول ما قال .

فالصحابى حين كان يصلى أو يتعبد كان يدور حول هذه المعانى يأخذ بالإسلام ، ثم يأخذ بالإيمان فى عمله ثم يكون فى مقام الإحسان فى مشاهدته لربه ، ثم يقوم فى مقام عرض نفسه على ربه يوم القيامة .

فالعبادة منه تقع صحيحة كاملة بآثارها ومعانيها ، إنه يصلى كما كان الرسول يصلى ، أى يقتدى به فيما يتعلق بجوارحه ثم يجعل هذه لله خالصة ، لوجه الله مؤمناً بذلك ثم يشعر بمراقبة الله عليه ، ثم يرى موقفه بين يدى ربه و بمثل هذه المعانى والأحاسيس فى العبادات كلها أخذ الصحابة فكان كل عمل منهم يقربهم إلى الله لأنها مأخوذة من تعاليم صلوات الله عليه .

كانت المدرسة تامة الفصول كان يتعبد الصحابى فى جو قوله سبحانه « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ثم يترقى إلى قوله : وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا : ثم يترقى إلى مقام الفناء بحيث يكون كل ما هو منه ربانيا فيه : وعلى ربهم يتوكلون : أى يأخذ بكل ما أمر الله به دون أن ينظر إلى حظه وهواه .

وقد وصف الله عباد الرحمن بقوله « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما »

ثم كانت مدرسة الرسول تخرج أفواجا أفواجا فى أقصر مدة . لأن أعمالهم كلها أعمال لمدرسة صالحة مثمرة ، وقد استطاع الرسول فى مدة قصيرة مدة الرسالة ، بضع وعشرين عاما ، أن يخرج الصديقين والشهداء .

والمسلمون رغم أنهم لا يزالون على شىء من مدرسة الرسول فلم يتخرج منهم ما يناسب عددهم ، رب سائل يسأل : لماذا ؟ لأن الصحابى رضوان الله عليه كان يرى العبادة وصلة كقوله تبارك وتعالى « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » فلا يقف الصحابى عند هذا إنما يتعقب الأثر « والذين هم على صلاتهم دائمون »

ثم يأخذ بسائر الصلات مع الله إلى أن ينتهى إلى قوله سبحانه « والذين هم على صلواتهم يحافظون »

وبهذا كان يتقرب إلى الله فى حركاته وسكناته دون التوقف لحظة واحدة باعتبار أن هذه هى مدرسة الرسول التى تكون منها الحياة الروحية الخالصة وهى التى يصعد بها المؤمن إلى السماء ، فالحياة الروحية هى حلقة الاتصال بين العبد ومولاه .

مثل ذلك قوله تعالى — « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » الآية .

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » ، وذكر الأرض يفيد أن المصلى كان مع الله فى السماء يحيا حياة روحية خالصة فيعود بعد ذلك إلى الأرض .

هكذا كانت مدرسة الرسول مدرسة شاملة جامعة عامرة .

وقد سألت السيدة عائشة الرسول عن قوله تعالى « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » .

هؤلاء المذنبون العصاة قال : لا ياعائشة هؤلاء الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ويزكون ويخافون من الله ألا يتقبل ذلك منهم » .

هذا هو لون مدرسة الرسول ، أما مدرسة المسلمين الآن ، رغم انتسابهم إلى الرسول ورغم الزعم من تلامذتها فالكثير منا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ! ؟

قد يصلى المسلم ، ويتظاهر بالعبادة وهو أبعد ما يكون عن التحلى بمكارم الأخلاق؟

والمعلوم أن صلة العبد ، بربه مقترنة بصلته مع عباده كالسالب والموجب فى الكهرباء أى لابد من الجميع بين الصلتين .

أن يقول : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين »

وقد ذكر عند رسول الله امرأة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى الناس بلسانها ، قال : « لا خير فى صلاتها ؟ هى من أهل النار »

لماذا ؟ لأن الله بعد أن أمر الناس بعبادته أمرهم بتكاليف أخرى متعلقة بالخلق ، فإذا لم ينهضوا بها كما ينهضوا بتكاليف الله الخاصة ولن يكونوا محمديين فى حياتهم .

فللجار على الجار حقوق وللوالدين والأقارب كذلك ، وكل هذا لا أثر له فى حياة المسلمين اليوم ، حتى ان من تراه متعبدا متنسكا متعالما داعيا فإنه لا يعبأ بهذه النواحى ، فإنه يحرص على الدنيا حرصا كاملا بصورة تتنافى مع دعوة الله فى الأرض كأن الدنيا هى الباقية والآخرة هى الفانية .

وكل منا يشعر من أعماق قلبه أن التكليف من الله واقع على غيره لا عليه وقد نبه الله عباده من قبل عن تدخل الشيطان بين الإنسان وربه ..

« وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

وهذا يفيد أن الشيطان يتدخل بين القارىء وبين فهم القرآن ، وقد حذرنا الله من ذلك ولفت أنظارنا كمسلمين إلى العمل على نبذ الشيطان منا حين نتلو كتابه .

وفضلا عن ذلك فإن كل مستمع أو تال للقرآن يتوهم أن المخاطب بالقرآن غيره لا هو ؟

فإذا سمع قوله تعالى : « يأيها الذين آمنو اتقوا الله » فالخطاب إلى غيره ؟

وإذا استمع إلى قوله « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » حول على غيره ونسى قوله تعالى « ومما رزقناهم ينفقون » .

وإذا وقع نظره على اجنبية ينسى أنه مكلف والقرآن يطالبه بغض بصره فيسترسل مخالفا أمر الله الذى خاطبه به

هذه أمثلة على تدخل الشيطان فى الفهم وقد وصف الله الشيطان بعدة أوصاف ثم أثبت وجوده والرسول ذكر عنه « أنه يجرى منا مجرى الدم »

ولكننا لا نؤمن بعداوته بعكس العهد فى مدرسة رسول الله .

فاليوم إذا رجع كل منا ممن يزعم الإيمان والتتلمذ على مدرسة رسول الله التى لا تزال مفتوحة للطلاب اكتسب المعية له معية الصفة التى لا تزال باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها

« محمد رسول الله والذين معه » وهذه المعية المتعلقة بصفته لا تزال ، فالمدرسة مفتوحة فمن كان مؤمناً بمدرسة رسول الله فليدخل مدرسته اليوم . أما الحياة الروحية فهما بالغ المكثرون وتحدثوا عنها إنما يبصرونها ويكيفونها بأحاسيسهم ، فمن أرادها فليسلك الطريق ، إن من يتذوقها ذوقاً ويجدها وجداً ، ويحس بها إحساساً

فإنه يجدها بصورة بعجز أعلم العلماء عن تصويرها وتكييفها .

لأن الحياة الروحية هى صلة العبد بربه « وما قدروا الله حق قدره »

ولذلك فإن من تذوقها أو جاء بمعانيها من الله انتقل من الدنيا وهو لايزال يطلبها . متأثراً بها كأنه لم يكن عليها .

هذه المعانى المتعلقة بالحياة الروحية كإحساس وذوق لاتجدها فى كتاب ، ولا يمكن أن تلهمها من غيرك ، إنما هى إحساس وأذواق ومواجيد يجدها من انتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فكان فى مقام المشاهدة والمعاينة بأكمل صورها ومعانيها .

ومن لم يجدها كذلك إنما يحوم حول معانيها إيمانا منه بآثارها فى الحياة .

الدكتور محمد مصطفى حلمى :

وإذا كان ذلك كذلك ودخلنا مدرسة الرسول الروحية وتلقينا دروسها على الوجه الذى ينبغى ، وأتقنا تعاليمها إتقانا لاتساع فيه إلى عنصر من عناصر الشر أو الباطل كنا بمنجاة من المهالك

فليس من شك أن مدرسة الرسول هى المدرسة الروحية بأدق مافى لفظة الروحية من معان ، وإنما كانت هذه المعانى عبارة نقاء السيرة ، وصفاء السريرة ، وجلاء البصيرة ، فإذا اجتمع كل أولئك لمسلم مؤمن بكتاب الله وسنة رسوله وتتلمذ فى مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كتبت له النجاة وتحقق له السلام

لقد كان رسول الله منبعاً أسمى للخلق العظيم ، ومورداً أحلى للذوق السليم ، وكان فى كل ما يأتى ويدع ، إنساناً كاملا بكل ما فى الإنسانية من معنى ، يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان ، ويجاهد الكفار ، ويجاهد فى سبيل الله ما وسعه الجهاد ، لا طامعاً ولا خائفاً ولا راجياً ثواباً ، ولا خاشياً عقاباً وإنما هو يفعل هذا كله إبتغاء وجه الله وأداء لواجبه فى الحياة وعملا على إسعاد خلق الله .

لقد كانت حياته صلوات الله مرآة صادقة تتجلى على صفحتها تعاليم الإسلام القويمة سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات أو فيما يتعلق بالحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعة .

وكان عليه الصلاة والسلام فى هذا كله حكيما مستقيما لا يقول إلا الحق ، ولا يفعل إلا الحق ، ولا يدعو إلا

إلى الحق ، ولعلنا إذا أردنا أن نبين تفاصيل هـذه المعانى الروحية التى أجملناها ، لخرجنا عن القصد، ولوجدنا من ذلك أشياء يحتاج كل منها إلى ندوة خاصة .

فحسبى هذا الاجمال ، على أن يكون حافزا لطلاب الكمال أن يتحققوا بما تحقق به المثل الأعلى فى الكمال .

فإنهم واجدون فى هـذا التحقق غذاء للقلب وحياة للروح بل سيجدون فيه بعد هذا كله السعادة القصوى . والبهجة العظمى .

ذلك بأنهم عاشوا لله ، وعملوا من أجل الله ،ومن كان كـذلك كان خليقاً برضاء الله .

فليكن لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وفى حياته الروحية التى كان يحياها متحنثاً أولا ، ثم مرسلا بعد ذلك ، ثم مدبراً لشئون الحياة ومبصراً بامور الميعاد فيما بين ذلك ... ليكن لنا من هذا كله النبراس الذى نهتدى به ونعول عليه ، ولا نركن فى أقوالنا وأحوالنا وأعمالنا إلى إليه

فهنالك السعادة والنجاة وحسن العقبى

الأستاذ عبد الرحمن أبو النصر المحامى

أريد أن أقول إن مدرسة الرسول الروحية هذه تسميه ضيقة لأن الرسول عليه السلام بعث رسولا للعالم كافة على أوسع نطاق وإننا فى تضيقنا للمعنى بأن نقول «مدرسة الرسول» فى هذا تشبيه قد يفهمه البعض على أنه محدد بمكان ، أو بتلاميذ معينين ، أو بزمان معين .

ولكن الرسول عليه السلام أعده الله واصطفاه لكى يكون للناس كافة من الوقت الذى نزل فيه إلى أن تقوم الساعة .

لا لفريق من الناس كما أعد غيره من الرسل . ولكن للناس قاطبة

وعلى هذا أرى أن التسمية تسمه مدرسة الرسول الروحية لا تعى المعنى الذى يتفق مع أستاذية الرسول

وأرى أن الرسول عليه السلام ما نطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

أحب أن أوضح للأستاذ الكبير عبد الرحمن أبو النصر ، أننا أردنا بهذه الندوة ، تصوير الحياة الروحيه أو المدرسة الروحية للرسول ، تلك المدرسة التى كانت إماما ملهماً للصوفية فنهجوا نهجها وساروا على خطوها ولم نضيق بهذا واسعاً ولم نحدد بذلك رسالة فالرسول صلوات الله وسلامه عليه

هو إمام الأنبياء والمرسلين والناس كافة وتعاليمه ورسالته شاملة جامعة

فهو أستاذ وإمام للفقهاء ولرجال الحديث ولسائر المدارس العلمية التى انبثقت من رسالته

وإنما استهدفنا التخصيص لمدرسة معينة هى المدرسة الروحية التى يرفع أعلامها الصوفية

وتلك المدرسة الروحية فى الحقيقة تتسع وتتسع حتى تحيط بكافة المدارس فهى الأساس ، . وهو الهدف وهى المعنى المضمر أو المراد من كل مدرسه علمية دينية. لأن تصعيد الأعمال جميعها إلى الله سبحانه . هو هدف الإسلام وطابعه، وهو شعار التصوف ومنهجة

الأستاذ عبد الرحمن أبو النصر :

تلك المدرسة الروحية التى خلفها لنا الرسول عليه الصلاة والسلام قائمة ولا زالت آثارها قائمة .

والدليل على وجودها وعلى أن الأمه الإسلامية لا زالت بخير هى وجود هذه الندوة ، وتلك النصائح التى استمعنا إليها ممن سبقونا فكل منهم صالح لأن يكون أستاذاً يقتدى به فى نطاق المدرسة المحمدية .

الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :

أوافق الأستاذ الفاضل عبدالرحمن أبو النصر على أن قولنا مدرسة الرسول والحياة الروحية . قد ضيق المقصود بالحياة الروحية لأن هذه الحياة فى رأيى لاتنفصل عن الإسلام ،

ذلك أن الإسلام وهو الدين الذى جاء للبشر كافة قد اشتمل على الأحكام الشرعية بجميع فروعها فهناك أحكام شرعية تتعلق بالعبادات مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والبيوع والزورع وما إلى ذلك .

وهناك أحكام شرعية تتعلق بالعقائد كالإيمان بوحدانية الله وتصديق رسله والإيمان باليوم الآخر وما إلى ذلك مما يسمى بالعقائد الإيمانية

وهناك إلى جانب هذا كله أحكام شرعية تتعلق بالمعاملات الباطنية .

مثل الأخلاق التى دعا إليها القرآن والتى تحلى بها الرسول من الصبر والشكر والمحبة والرضا وما إلى ذلك مما هو على الجارحة الباطنة وهى القلب .

فالجزء الأول من الأحكام الشرعية يختص به الفقهاء ، والجزء الثانى يختص به علماء التوحيد والجزء الثالث يختص به المتصوفة .

هذا التخصص لا يفيد الانفصال، وإنما هو تعدد اعتبارى فالفقيه مثلا لا ينبغى أن يكون عالما بالأحكام الشرعية فحسب ، وإنما ينبغى أن يكون إلى جانب ذلك متحققا بالخلق الدينى ومستشهدا لعظمة الله فى قلبه ، أى يكون متعبدا متحققا بالمعانى الروحية

وكان السلف من الفقهاء على هذا النحو الإمام مالك والشافعى وابن حنبل فقد كانوا فى حياتهم الروحية متحققين بالعلم والعمل .

والصوفية كذلك يشترطون العلم بالأحكام الشرعية كأساس لترقيتهم فى السلوك .

كل ما فى الأمر ، أن الصوفية تخصصو أكثر من غيرهم فى معالجة مسائل الأخلاق .

والأخلاق تنقسم إلى قسمين : الأول هو تصحيح المسلم لعلاقته مع خالقه ، والثانى تصحيح سلوكه مع الناس فى المجتمع وهذان الأمران لا ينفصلان أيضاً .

وقد نص الإسلام على أن المسلم الصحيح هو الذى يستشعر عظمة الله فى قلبه على الدوام ، فإذا استشعر هذا فى قلبه وتحقق بمعنى العبودية لله ترتب على هذا أن تكون علاقته بغيره فى المجتمع الإسلامى قائمة على أسس سليمة.

يقول تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أى استشعار العبد بالعبودية فى كل ما يقدم عليه من أعمال .

ثم يبدو لى أن من أخص ماتتميز به حياة التعبد الروحية فى الإسلام هو الخضوع لله . والخضوع لله سبحانه وتعالى هو ثمرة العبادة : فاعبده وتوكل عليه .

اعبده شريعة ، وتوكل عليه حقيقة ، ثم كيف السبيل للوصول إلى الحقيقة ؟ إن المنهج الذى هدانا الرسول إليه هو مراقبة النفس فى كل لحظة ونفس ، فالأنفاس كما يقول الروندى « أزمان دقيقة تتعاقب على نفس العبد وفى كل وقت منها ينبغى أن يراعى المريد أدبا معينا مع الله أو مع الخلق » ، ولذلك يقولون الصوفى ابن وقته بمعنى أنه فى كل وقت من الأوقات التى تمر عليه ينبغى أن يكون مراعيا لأدبه مع الله حتى ان بعض الصوفية يعبر عن التصوف بأنه أدب فى كل وقت وفى كل حال أدب .

فالمنهج الروحى هو مراقبة النفس ومن أجل ما يحضرنى فى هذه المناسبة قول أبو المرسى لتلميذه ابن عطاء الله « أوقات العبد أربعة لاخامس لها، النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، فإذا

كنت فى وقت النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإذا كنت فى البلية فالصبر ، وإذا كنت فى وقت الطاعة فشكرها شهودها منة عليك وإذا كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك الاستغفار » فالأوقات متصلة وكل إنسان منا خاضع لحكم وقته لايحيد عنه.

ولذلك يقول ابن عطاء الله فى حكمه : « حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها فما من وقت يرد عليك إلا ولله فيه أمر أكيد ، وحكم جديد ، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه » .

وهو يعنى أحكام الشريعة كالصلاة والصوم والزكاة فإن بعضها إذا فات المسلم يمكن قضاؤه ، أما حقوق الأوقات فلا يمكن بمعنى إذا كان فى البلية فالصبر ، لا يمكن أن يرجىء الصبر، لأنه إذا فعل ذلك ضيع حق الوقت.

وكذلك الرضا عن الله لا يؤجل إلى وقت آخر والاستغفار وهكذا .

فى حكمة عطائية أخرى يقول : « ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه »

نخلص من هذا إلى أن الصوفية أساس منهجهم مراقبة النفس وهم يستمدون هذا المنهج من القرآن والسنة

على أننى أنبه إلى أن عناية الصوفية بهذا الجانب لا تجعلهم منفصلين عن غيرهم من علماء الإسلام فهم أيضاً لابد أن يكونوا متحققين بأحكام الشريعة .

وأضيف أن يكونوا فى المجتمع يحيون حياته لأن حياة التعبد تعين المسلم على مواجهة المجتمع وتبعاته وتجعله مستشعرا فى كل لحظة أنه قريب من الله مراعيا لحق الله .

الأستاذ محمد النشرتى :

الصوفية وهم خلاصة القوم الذين جاهدوا النفس ليصلوا إلى مقام الشهود وصلوا عن طريق تتلمذهم للرسول. الذى بعد أن انتهى من غزواته وفتوحاته أشار إلى الجهاد الأكبر فقال : إنه جهاد النفس فجهاد النفس هو الدرس الأول فى المدرسة الروحية للرسول عليه السلام .

فمن أراد الالتحاق بالمدرسة الروحية للرسول عليه السلام فليسلك مسلك الصوفية وليتخذ منهم أساتذة له حتى يهتدى إلى ما اهتدوا إليه عن طريق أستاذهم الأكبر محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وانتهت الندوة المباركة فى تمام الساعة العاشرة على أن تعود للانعقاد ن شاء الله تعالى فى الشهر القادم .

الرومانتيكية فى الأدب الصوفى

للأستاذ أحمد السيد عوض الله
المدرس بالأزهر

تكلمنا فى العدد السابق عن طبيعة الحزن عند كل من الصوفيين والرومانسيين وعرفنا أن مذهب الرومانسية الذى أحدث ضجة فى الأوساط الأدبية الغربية ورن صداه فى أجواء الآداب العربية . لم يكن جديدا فى أفكاره واتجاهاته وإنما هو امتداد لأفكار المتصوفين المسلمين الذين أطلقوا العنان لعواطفهم الرقيقة وإحساساتهم المرهفة وتوغلوا فى أعماق النفس الإنسانية يستخرجون دخائلها ، ويستشفون أسرارها ويحللون ما يتوارد عليها من معان رقيقة وانفعالات عميقة ، فأخرجوا للعالم تراثاً أدبياً ضخما كان ولا يزال ينبوعا يفيض بالحق والخير والجمال . . هذا إلى أن الصوفيين يطورون الانفعالات المنقضبة إلى نواحى الخير والرحمة كما بينا فى ظاهرة الحزن ، بينما الرومانس يلذ له أن يستمتع بهذه الانفعالات لأنه يراها متجاوبة مع روحه وقلبه .

وفى هذا المقال نتناول عاطفة الحب عند كل من الرومانسيين والصوفيين كما وعدنا . يذهب الرومانسيون إلى أن عاطفة الحب هى أسمى العواطف الإنسانية على الإطلاق لأنها مصدر الفضائل وينبوع المثل العليا . وبواسطتها يدرك الإنسان ماعليه من واجبات لأنها توقظ الضمير وتربى الوجدان .

والحب عندهم كما هو عند الصوفيين لاينبع من العقل بل هو حالة وجدانية وشعاع روحى يصقل النفس ويهذب المشاعر ولا يعترف بنظم أو قوانين. لذلك ينقم الرومانسيون على الزواج فى مجتمعهم لأنهم يرون أن الحب لايفرض أو يقيد بامرأة طول الحياة قد لا يكون القلب متجها إليها .

والحب عند القوم وإن كان إنسانيا إلا أن فيه عنصر الهيام والوجد . .

يقول دى فينى « إن السعادة لتغمر قلبى حين أنظر إلى مباهج الطبيعة فأرى فيها نظراتك الحالمة . .

لاتدعينى أيتها الحبيبة وحدى إن لمسة رقيقة من أصابعك الحلوة، كفيلة أن تخلق الأمن فى نفسى والنور فى قلبى» .

وهذه الحرقة فى الحب تذكرنا بقول جميل بثينه وهو من الشعراء

العذريين الذين يهتم بادبهم الصوفيون.

يقول :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى
لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا . وبألا استطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى
أو آخره لا نلتقى وأوائله

أو قول كثير عزة :

رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

وواضح من هذا أن حب الرومانسيين عفيف وعنيف لا أثر فيه لشهوة أو غرض فهو شبيه بحب العذريين فى الأدب العربى ولهم قصص فى هذا المجال تشبه قصة « مجنون ليلى » وغيرها من قصص المحبين العذريين عندنا ، وقد دفعتهم لوعة الحب ونار الوجد إلى اليأس الذى يستهويهم وتسكن إليه قلوبهم .

يقول دى موسيه « أنا أحب ...
لا يهمنى أن يتحدث الناس عن حبى ...
يكفى أن أعرف أننى أحب ...
سأتحمل وحدى العذاب ...
وحبيب إلى نفسى هذا العذاب ...
إن حبى خال من الأمل ...
لكنه هو السعادة ...
يكفى أن أراها ...
لونى شاحب من الحب ، وأنا سعيد
إننى أستمتع بنعيم العذاب فى الحب ...
فيض من دموع الحب على خدى
يشجينى ... لا أريد أن يجف معين
الحب ولا فيض الدموع ...

وهذا النص الملتهب سيطلعنا على تأثر الأدب الرومانس بالأدب الصوفى عند الكلام عن الحب الإلهى ، فالصوفيون هم أول من أثار البصائر عن هذه الالتهابات القلبية المحرقة فى حبهم ومناجاتهم وشوقهم وفنائهم ، ومن هنا ندرى أن الحب الرومانسى يستهدف تألق النفس وشفافيتها ، وتلألؤ الروح وتسامقها ، ومن هذا البريق اللامع من الأضواء تهفو النفس إلى الفضائل ، وتنزع إلى الخير ، ومن الحق أن نقرر هنا أن بعض الرومانسيين قد سما بالحب إلى أبعد من الناحية الإنسانية .

إذ يرى هذا الفريق أن الحب فى معناه الأصلى هو الجذب ، فكل المخلوقات ينجذب بعضها إلى بعض بهذه القوة من الحب .

والمخلوقات مجذوبة إلى الله بهذا الحب ... يقول فيكور هوجو : « الله وجهه نور ، ليس لله اسم سوى الحب تنطق الشمس حينما يخلو العالم من الحب ... كل الأشياء تنجذب بقوة الحب إلى الله ... الحب هو صنعة الله التى يرجع إليها الخلق والتقدير ، والإحياء والغرس والوجود والعدم »

(يتبع)

أخبار صوفية

قرارات المجلس الصوفى الأعلى

* قرر المجلس الصوفى الأعلى ، تعيين السيد حسن محمد سعيد الشناوى شيخاً لطريقة السادة الشناوية الأحمدية خلفاً للمرحوم السيد محمد سعيد الشناوى .

* أصدر المجلس الصوفى الأعلى قراراً بطرد السيد عبد الحميد جاد الله عبد الرحمن نائب الطريقة البرهامية بالاسكندرية من الطرق الصوفية كافة :

* تقرر إعفاء وكيل مشيخة الطرق الصوفية بطهطا من وظيفته .

السيد على الميرغنى

* زار سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية سيادة السيد على الميرغنى . كما ودعه عند سفره فى المطار . . كما قابل سيادته رجال الطرق الصوفيه بالاسكندرية وعلى رأسهم السيد وكيل المشيخة العامة بالاسكندرية .

مولد السيدة زينب

* يحتفل بافتتاح مولد السيدة زينب رضى الله عنها فى مساء يوم ٢ يناير ١٩٦٠ ثم يستمر المولد المبارك لمدة ثمانية عشر يوماً .

الأوقاف وتفسير القرآن

* كتب الأستاذ أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف إلى مشيخة الطرق الصوفية للمساهمة فى تفسير القرآن الكريم الذى تقوم بإعداده الآن وزارة الأوقاف مستعينة برجال العلم والأداب والدين كل فى تخصصه .

الهيئة الزراعية المصرية

تحافظ على قطنك من فتك الآفات

نجاح لجان الهيئة الزراعية المصرية فى مقاومة آفات القطن فى الموسم الماضى أساسه التطبيق المنظم السليم بالكيماويات المختارة وفى المواعيد المناسبة .

الهيئة تزيد عدد اللجان من خمسين إلى مائة لجنة حتى تتجاوب مع طلبات السادة الزراع .

واللجان نوعان :

(أ) لجان للرش بطريقة الرذاذ ومزودة بموتورات مائلة للرشاشات ذات الضغط الثابت .

(ب) لجان للعمل بموتورات على الضغط المرتفع بالبشابير المدفع .

فمن يرغب من السادة الزراع أن تقوم الهيئة بحماية محصوله من القطن أن يبادر إلى تقديم طلب مرفقا به مبلغ خمسون قرشا عن كل فدان نقدا أو بشيك باسم الهيئة الزراعية المصرية بأرض المعارض بالجزيرة فى ميعاد نهايته آخر فبراير وموضحا به طريقة الرش التى يختارها .

وستكون الاسبقية بحسب تاريخ ورود الطلبات .

وقد أعدت الهيئة مختلف مبيدات آفات القطن تحت طلب الزراع بأرض المعارض بالجزيرة .

مطبع دار القلم
١٨ شارع سوق التوفيقية
ت ٥٥٠٣٢